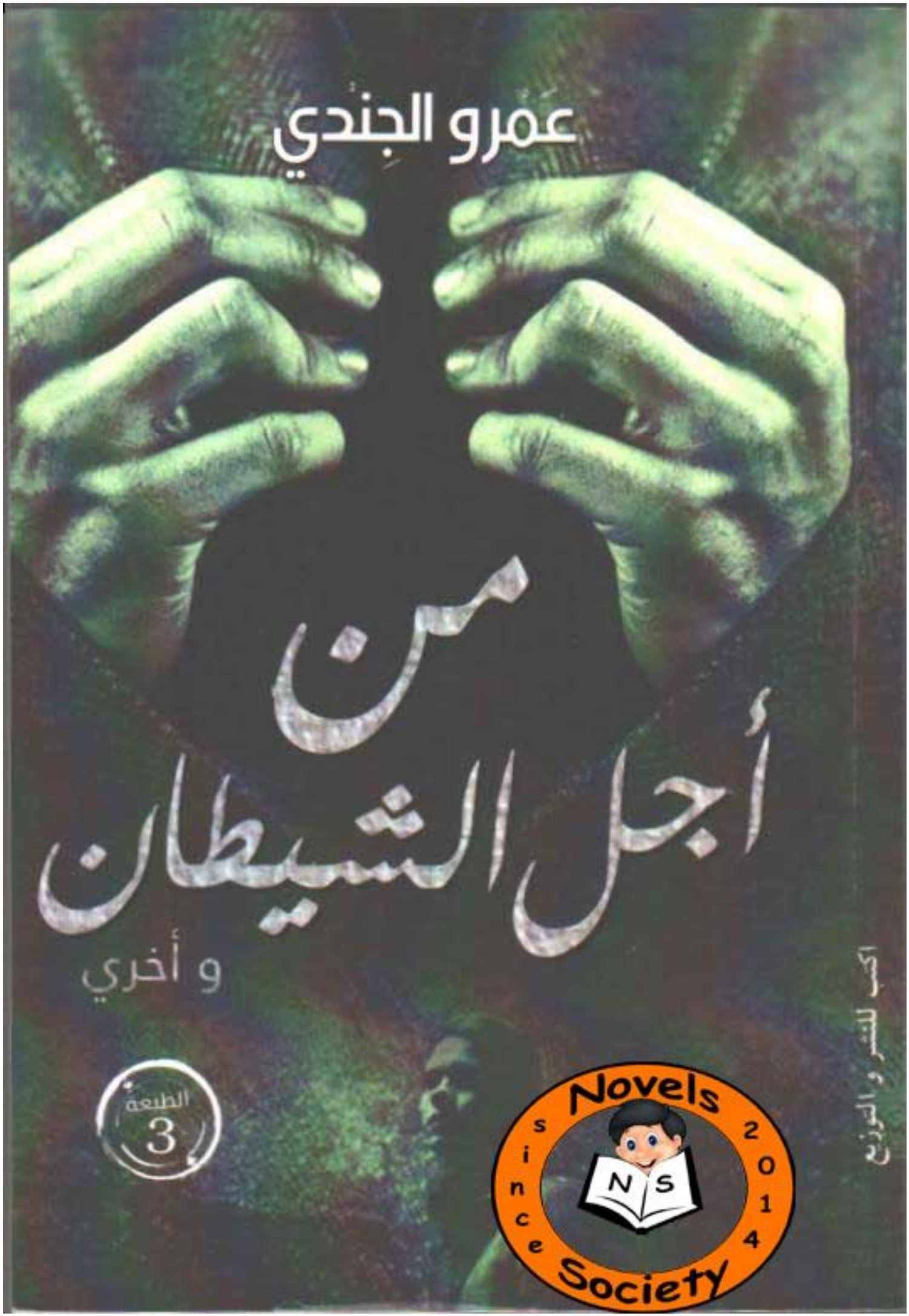

عمرو الجندي
من
أجل الشيطان
و أخري
الطبعة
3

إهـــداء

علمتني الكثير فانت زمن لن يعود وأيام دوماً اشتقت إليها فمعك أشعر بطفولتي وأتذكر كل الاعيبك السحرية فقوتك كرجل صنعت مني آلاف الرجال وغموضك تفنن في صنع ألف شخصية مني، إلى الرجل الذي أشهد أن لا رجل غيره في عالمي .... إلى الرجل الذي علمني كيف تكون الحكمة والكتابة علمني كيف أخط الحروف ..

أبي ..

يا زمناً آخر وعالماً آخر يا كل الرجال المحترمين أكتب إليك بروحي وأناملي أكتب إليك بكياني وكل ما تعلمته من مفردات فأنا أعلم أنك قصور في ولكنني أحارب جاهداً ليخلد اسمك بين الكتب والكلمات ليذكرك التاريخ أنك يوماً انجبتني ..

حبيب قلبي.....شكراً لك ..... شكراً لك ..

أهدي إليك كلماتي تلك وأتمنى أن تقرأها يوماً لتعلم أن حب العالم من مهده إلى لحايته قابع في قلبي لك ، أبي صاحب العيون الماسية والقلب الذكي لك أخط كلماتي فإقبلها سيدي.

المقدمة

يدق الباب ثلاث دقات وبعفوية اهدم الحواجز بين الشيطان وأفكارك، كل ما عليك هو إلقاء ملائكتك خارجاً واغلاق كل النوافذ بإحكام لتترك الظلمة تنبثق بين أحشائك، فاليوم من أجل الشيطان سنلتقي سوياً وسرياً لنمر عبر عالمك السفلي، من أجل الشيطان سندخل عالم النسيان ونهرع بعيداً عن حدود النور، في كل قصة ستجد الشيطان في لوحة مرسومة بدقة مبتسما فاليوم أحيي ذكراه أتقمص شخصيته وأمارس طقوسه .

لا تخف ..

ادخل من الأبواب الآن ، حاول أن تقتل كل العوامل التي تمنعك عني ، رحلتي معك ستجد فيها التأمل داخل النفس البشرية سأنبش في تفاصيل ملامحك وأمر عبر شريط حياتك وأحرر سجن أفكارك فمن أجل الشيطان ارتكبنا الكثير وما زلنا نرتكب وسنرتكب أكثر مع الدقات القادمة ، خطيئة وفاعل تعني حياة ما ..

في غرفة الانتظار حتماً ستدخل معي لتأكلك أنياب الهوس الشيطانية وعندما تمر على لوحتي المفضلة ستجد أنني من أجل الشيطان بعت عقائدي ومبادئي، ومع العائدة من الموت ستجد شيطان الرحيل يسحقك عندما يدفن بلدة ليرسم لك لوحة رحيل مزيفة لكنها داخلك حقيقة مؤلمة ، وعندما تنتظر بين الموت والحياة لن تتذكر سوى شياطين أفعالك وجرائمك ولن يترك لك الشيطان نهاية مرضية ، وعندما تثور استرح معي على إحدى المقاهي دون الملامح التي ستلتقي فيها بالشيطان نفسه ليتقاسم معك

الطعام .. السجائر .. الصرخات و..الخطايا، وعندما يأتي الموت بدون علم مسبق اعلم أنك بين أنياب حادث لن تكتبه يوماً في مذكراتك ، عندما تشعر بالصقيع يتسلل خلسة إلى أحاسيسك فإعلم أنه ظلم قديم عائد إليك من فعل خطاياك التي تشاركت فيها يوماً مع الشيطان وعندما يتهاوى جسدك من إثر حادث لتصمت فقد بات وقت الحديث مستحيلاً..

لنفتح الكتاب في سكون الآن ،من أجل الشيطان .

عمرو الجندي

١. أنا وعزازيل

عندما تلتقي الآخر ، لا تخف كل ما عليك أن تواجهه ، هناك تقبع ماهيتك وأسرارك السفلى ، تعالى أنا في انتظارك..

(١)

اطلالة غريبة قد تكون ليست كشتاء بعيد في ذاكرتي ، ولكنني أعلم جيداً أن لها طابع خاص في ذلك المطعم الذي تتوسطه تلك السجادة الطويلة التي ربما يعود عهدها إلى أحد الملوك السابقين الذي إنطوى مع صفحات التاريخ ، كما انطوت هي لتشهد أقدام ربما لم تتخيلها مع مهب ريح ولادتها ، وتطل الموائد عن اليمين وعن اليسار بمزاج قد يجلب الدفء بطابع انجليزي خالص على شرفات كبيرة تطل بدورها على شارع تمر به الف قصة يومية وسط زحام وهوس آدمي .، ولكن تحجب تلك النوافذ بكل الوسائل أي صوت قد يتخلل إلى عقلك اللاهث بحثاً عن ود من الطمأنينة والصمت الساكن وحين الجلوس بدا لي كل شيء كأنني أتابع أحد أفلام السينما الصامتة بزخرفتها وبداياتها الضعيفة ، ولكنها تترك في النفس نغماً غريباً وربما لإرتباطي المثالي بتلك الحقبة البعيدة التي طالما تمنيت أن أكون أحد أفرادها ، فلكم تمنيت أن أكون أحد أبطال ذلك الفيلم " ذهب مع الريح "، الذي يخفي إحدى شخصياتي بين طياته الدفينة وموسيقاه التي تشتعل كل يوم في جلستي أمام مدفأة في انتظاري دائماً ليلاً، وربما تمنيت دوماً أن أكون أحد صناع السينما الكلاسيكية .

" ماذا تطلب يا سيدي ؟ "

طالعته بابتسامة غافية في نهر من الأفكار ثم قلت :

" قهوتي المعتادة "

أوماً برأسه موافقاً بابتسامة جادة لكنها لا تخلو من الود ،عدت مرة أخرى إلى النافذة مستدرجاً الأحداث، ومحاولة ربطها لتكون مشهداً أستطيع تخليده في مذكراتي العابثة وربما بالبحث عنه ليخلو لي في أوقات مللي الشديد بوحدتي ، إنها رياح ديسمبر بما تحمله من قسوة نابعة من غضب ما وتلك أذيال الملابس اللاهثة في الدفاع عن أصحابها رافعة شعار " لا تراجع ولا استسلام ". وأرى بعض الكلمات المرتجفة راقصة على شفاه أصابها البرد بالزرقة، نعم هي أدعية بسيطة لبعضهم ربما تتوقف الرياح وتتوقف معها مخاوفه أو ربما سخط تام على جأش الطبيعة، فلكم كان الشتاء دوماً غامضاً لا يحمل في طياته سوى الغضب وغروب دوماً حتى في ظل النهار المنسحب دون أدنى إنذار مسبق والشمس التي بوهن استكانت بين أضلع السحاب الحادة مسلّمة أمرها في خشوع ، كصبية تطيع أوامر أبيها القاسي دون مناقشة أو تردد ، فما أعنف الطبيعة عندما تعلن الحرب .

قاطع وحدتي الباردة بنبرته الجادة دوماً منذ عشرة أعوام ولم تتغير وربما لن تتغير :

" القهوة يا سيدي "

احنيت رأسي بابتسامة لا تحمل أي معنى سوى المجاملة وقلت :

" أشكرك "

يا لمرارتها كأيام طالما تمنيت أن أحذفها من ذاكرتي السوداء ولكنني اتعطش لها فهي ما تبقيني يقظاً ؛ لأعلم أني موجود بعد أن طردت كل المفردات الحياتية وعشقت الحزن والوحدة وتقمص أشخاص لا أعرف

عنهم سوى سواد تاريخهم الطويل ، عاودتني مرارة القهوة في فمي وكأنها العسل المر ينصب في مدخل حلقي كثورة بركان أصيل يصب في أعماقي المتهاوية ، عاودتني مرة أخرى بمرارة أكثر فامتعضت وتمتمت بكلمات لا أذكرها بالرغم من أنها الآن ،لا على فكل الكلمات زحفت من أرضي ولم يبق سوى الصمت ومع الرشفة الرابعة تحولت أنا الآخر إلى فنجان من القهوة وربما أكثر مرارة ، الآن أستطيع أن أشق طريقي إلى القاع دون توقف ، أو امتعاض أو تمتمة منسية لا معنى لها .

(٢)

اكفهرت السماء عن عمد مسبق وتنازلت عن كل ركن فيها للسحاب المنقشع دون أدنى رحمة، وما يملكه من القتوم والسواد يكفي لتضليل ألف قلب ولإلقاء الحزن في ملايين القلوب إلى مائة عام قادمة ، ولكن بالنسبة لي فيكفيني ما أملك من حزن عشق الوجود في قلبي، فاحتل كل من جسدي وأفكاري سوياً، وتبقيت أنا أراقب عزائي في استسلام ، حاولت أن اخرج من تلك البقعة السوداء التي ارتمت في أحضاني واستقرت، وهامسني صوت الموسيقى الخافت الذي يدور في خلسة مقصودة بين أركان المطعم العتيق، فناديتُ أحد العمال بابتسامة فارغة على جدران ملامحي المفعمة بالود ،

" هل لك أن تجعل صوت المذياع أعلى قليلا ؟؟ "

أومأ برأسه في استجابة تامة تعلوها الجدية ولكنها أقل جدية من صاحب القهوة المريرة .

وإذا بصوتها العذب الحنون في هذه الأغنية العميقة المعاني يطرق مسامعي ، وبدأتُ في الغناء على مهل مستكين مع فيروزية الأحلام :

" شو بخاف دق عليك وما لاقيك "

فقاطعني شرود جارف في ملامح ذلك الشخص أمامي ، وعلا وجهي دهشة قاطعة، قد تكون آتيه من أثر خنجر ما انسل بين أضلعي في غفلة مني وتمتمت في غفلة أشد من شفتاي :

" لا يمكن أن يكون "

ثم جحظت عينيّ وأردفت في ذهول قائلاً:

" مستحيل أن يكون إلى تلك الدرجة "

إنه يحمل نفس عينيّ ونفس النظرة العميقة الغريزية المنشأ قوية التركيز، وتلك الخصلات التي تترامى على جبينه تداعب وجهه المائل إلى لون الشمس وقت الغروب وتلك الأنف التي تحمل صفات الملوك بشموخها وكبريائها الحاد .. نعم .. نعم يحمل نفس الشفتان التي لا تتحدثان إلا عندما تشعران بذلك الجفاف من قلة ماء الحديث ونفس الجسد الذي يبدو نشيطاً بالرغم من إرهاق الحزن وإعيائه .. إنه .. إنه يحمل نفس ملامحي .. نفس الوجه نفس الجسمان .. واجتاحتني أسئلة غائرة بين أشواك الغموض:

" من هو ؟؟! .. هل هذا أنا وربما أنا في حالة من الهذيان من وقع النوم لأيام لا يتوسطها سوى مباشرة الأكل والشراب ..؟! هل تلك مرآتي وربما أنا في حالة جنونية متأخرة تصور لي نفسي ؟ هل بالفعل يخلق من الشبه أربعين ؟! ثم عدت للوراء متكئاً على مقعدي النوفمبرى المزاج مطيحا برأسي إلى الخلف، مغمضاً العينين هامساً مع فيروز تلك المقطوعة :

" صار لي شي مية سنه عم ألف عناوين مش معروفة لمين وورديلون اعصار بكره لا .... باقي المقطع ...."

واستمررت بالغناء متمنياً أن أفتح عينيّ مرة أخرى فأجد كل شيء كما كان وأعلم حينها أنها مجرد هواجسي وخيالاتي المتسلمة إلى جنوني الشارد..

(٣)

الآن سأفتح عينيّ ليعود كل شيء كما كان ، نعم أنه ليس أنا ..لا لا إنه ليس هنا بالفعل .. لا لا إنها مجرد هواجس شيطانية فهمستُ في سكون:

" استغفر الله العظيم ... استغفر الله العظيم "

وفتحت عينيّ في بطيء كأنني كفيف استعاد بصره بعد أمد طويل، ولكن يا لها من كارثة تصدمني للمرة الثانية ولكن تلك المرة تدك أعضائي دكاً دون هوادة فقلت متمتما :

" أيها العقل ماذا تريد مني ..؟ لو بيديّ القدرة لأطحت بك من جسدي ولفرقت بيني وبينك فراقاً أبدياً "

جحظت عينيّ في سكون وانفتحت أبواب فمي، وازدادت شفتاي جفافاً ناظراً إليه وقد شاركني طاولتي مستكيناً على إحدى المقاعد في ثبات عجيب وبملامح واثقة يتأمل قائمة الطعام وكأنني لست هنا بالفعل ، حاولت الحديث لكن تحشرجت الكلمات في حلقي فاكتفيت بالنظر إليه في ذهول تام أتأمله، وكأني أمام مرآه ترسمني بدقة متناهية ولكنها لا تحمل نفس الحركات ولا ردود الأفعال التي تعودتها من يومي الأول .

استمر في تأمل قائمة الطعام باهتمام شديد ثم بنبرة قوية موجهاً الكلام ربما لي قائلاً في نفور:

" ألا يوجد شيئاً هنا اشتهيه بالفعل ؟! "

ثم سكن للحظات وبسخرية قال :

" يبدو أنه لا ملاذ في دنيا العجائب "

فهمست لنفسي وكلي حواس مشتتة قائلاً:

" ربما انتقلت عبر بوابة زمنية لعصر قديم، وهذا أنا في زمن آخر وعلي أن أذهب الآن وربما تاهت مني المسافات عندما استغل أحدهم غيابي ونقلني دون أن أدرى ،لأمتلك الشجاعة وأنفذ الآن من ذلك المكان بلا عودة ".

ولكن قدماي مثقلة إلى حد الشلل فمن المستحيل أن تترك ذلك المشهد بلا فضول غريزي ربما هو توأمي ولا أعلم ولكن كيف ؟؟ وعاودني هاجس يحدثني بنبرة أشبه برجل ذو نبرة فولاذية :

" في تلك الحياة لا شيء مستحيل "

نعم أصدقه القول فلا شيء مستحيل ولكن هل ..؟ فقاطعني صوته في ثبات ناظراً إلى بحدة وابتسامة تتوسط ملامحه :

" اعذرني فقد وجدتك وحيداً فأتيتك دون استئذان وشاركتك وحدتك "

أومأت برأسي في قبول ولا أكاد أن أبلع ريقي فإنه يحمل نفس الصوت الجهوري الذي تصدره أحبالي الصوتية ، ولكن أيلاحظ الشبه بيننا ؟! أيلاحظ أنه أنا ؟! والماكثون هنا أيلاحظون ذلك ؟! لا أرى أي نوع من علامات التعجب ولا الإبتسامات التي تنم عن العجب ! ، ألا يهز أحدهم رأسه هنا عجباً من ذلك المشهد ، طالعت المكان كي أجد من يسعفني أو

يهشم رأسي وتنتهي كل البدايات ، حاولت العثور على تلك الكلمات على الشفاه في أركان المطعم ، على الطاولات المواجهة ، على وجوه العاملين ولكن لا جدوى من ذلك كله، فإن العالم قد غاب في لحظات من السخرية مني .

(٤)

لوحت إلى أحد العاملين في سرعة جنونية لم أدر من أين أتت ! وطلبت فنجان قهوة مرير آخر ، ثم عدت بعينيّ المستسلمتين للجحوظ بينما من يحمل ملامحي قد قرر ماذا سيأكل؟ فأتاه العامل ناظراً إليه بعادته الجدية دون أن ينبس بكلمة أو اظهار أي نوع من علامات التعجب بما يجرى هنا، ما هذا يا أنت ؟! انظر هنا ؟ هل الأمر كلية هو شيء إعتيادي تمر به يومياً ، أم أنك فقط لا تكترث ؟! .

انتهى من طلب الطعام وغادرنا العامل بينما عاد إلى في ابتسامة خجولة وقال :

" آسف لمقاطعتك ولكن أحياناً نحتاج إلى المؤانسة وبدا لي أنك أنت الآخر ربما تحتاج إليها "

نظرت إليه بينما تحركت شفتاي دون كلمات بينما أردف قائلاً:

" الحياة ممتلئة بالعجائب والأحزان وتنعدم فيها الأفراح القلبية ولكن أين نحن من كل ذلك "

نظرت إليه وقد قتلني الذهول وحدثت نفسي :

" ألا يلاحظ الشبه بيننا ؟؟! إنه بالفعل أنا "

ثم أومأت برأسي بابتسامة لم تغير من ملامحي شيئاً وقلت ويكاد يكون صوتي غير مسموعاً :

" نعم أين نحن من ذلك ؟! "

وراودني سؤال لم أتوقعه ولكن سألته :

" ماذا تفعل في الصباح ؟"

ضحك ضحكة شريرة مائلاً للوراء كأنه أحد العظماء ، ووضع ركبته فوق الأخرى ثم أشبك أصابع يديه فنظرتُ إليه بحدة ثم قال :

" اخرج في الصباح أتفقد الطرقات أتخذ الشمس مصباحي، وأصنع من حبال النهار ألف فكرة ليوم قادم جديد "

نظرت إليه في دهشة بينما أعلنت السماء عن غضب مرتقب شديد فالسماء زادت قتوماً غامضاً ، فلكم كان غضب الطبيعة مريراً لا يحتمل ..

ثم أردف قائلاً:

" لا تأبه للطبيعة أيها المتحذلق ، فالإنسان روضها منذ عهد قديم ويوماً سيأتي وأمنع الأمطار أن تهطل فلا تبلل أطرافي المعقدة ".

نظرت إليه في دهشة أقوى من الأولى وعاودته بسؤال قائلاً :

" ماذا تفعل في الحياة ؟! "

فنظر من خلال النافذة وأشار بإصبعه السبابة في كبرياء وقال :

" أترى تلك التماثيل المتحركة وتلك الأحداث التي تُحدثها من افتعالات ومعارك وحب وشهوات وأرق وملل ومخاوف وأطماع لا تنتهي؟"

أومأت برأسي إيماءة بسيطة قاتمة ناظراً إليه وهمس قلت :

" نعم "

" إن وظيفتي أن أتلاعب بتلك التماثيل أضعها أينما أشاء ، أجهضها حين أريد ، وأسخر منها عندما يحتلني جنوني ، فأنا أعيش من أجل أن أتمتع بالحياة من خلالها ، فكم هم مساكين ولا يدركون معنى الحياة ، فأنا القنهم دروسي الخاصة " .

نظرت إليه بامتعاض وعينان امتلكتا من الشجاعة ما يكفي لإطاحته، ولكن جاء العامل حاملاً الطعام ومن خلف ذراعه وهو منكفئ على وضع الطعام وقد بدت لي ابتسامته كذئب محترف أو مجنون غبي وتواجهت العيون تبحث عن مغزى ما.

(٥)

وبينما يتصبب الطعام عرقاً يرسم ببخاره الأهوج سحابات ليست كالتي تحتل السماء ، أمسك الذي يحمل نفس ملامحي بالملعقة كخنجر وأشار لي بطريقة ارستقراطية مولعة إلى تلك اللوحة التي تعود إلى فن قديم تتوسطها فتاة عارية تنهشها غصون الأشجار الغائرة بجسدها ، وصرختها المتجسدة ، أكاد أسمعها عبر أذناي ، ربما صورة لا تليق بمكان يقدم الطعام فتلك الصورة المتوحشة تقتل أي شهية ستأتي بعد ذلك العذاب المهين ثم قال :

" هل تعلم أن في العذاب لذة ؟ "

فنظرت إليه وأنا لا أعلم ماذا يقصد بالضبط، وارتفع حاجبي الأيمن عنوة ثم أجبت :

" نعم هناك بعض الأحاسيس التي لا تملك اللذة إلا لارتباطها بالعذاب"

وبسرعة كالبرق وبصوت قوى أجش أجاب :

" كالحب مثلا ؟! "

تقابلت العيون في غموض تام ، وعم الصمت للحظات ثم ابتسم ابتسامة غائرة بين ملامحه ثم قال :

" الحب هو ذلك الكائن المحتل الذي يكويك عذابه ولكنك ببلادتك الآدمية لا تطيق التحرر منه رغم أوجاعه الصماء "

وصمت قليلاً بينما انزوت عينيه ترمق الشارع ولا تحمل ملامحه أي رد فعل سوى الغموض ، ثم نظر إليّ بصورة مرعبة فجأة وقال :

" أنا لا أطيق الحب ولكني ابحث عنه لأرديه أرضاً أو ألتم أنفاسه وأقتله وأنزع الحبيب ممن يحب والوثه والقيه في أول فرصة في أول صندوق للذكريات المنسية "

تطلعت إليه وتكاد يداي أن تقتله عمداً، ولكن لا أعلم لما فضلت البقاء تاركاً شفتاي تتعارك في محاولة لالتهام غضبي ، ثم أكمل بينما بدا في تناول طعامه وكأنه يتحدث إلى نفسه :

" إني في كل ليلة أخرج للطرقات وأنهب من عبق الحياة، واستلذ بعذاب الغائبين في دنيا الأحلام أشرب الخمر وتغطيني في الشتاء الأوحال ، وربما يأكل جسدي تراب السيارات المسرعة على طرق لا أعلمها وتخطفني الاتهامات بأني في حالة من الهذيان، وأخيراً أرمق الليل زاحفاً إلى أراضي أخرى، فأعود كبلور لامع يضيء الطريق للشياطين ، وعندما أتوسد راحتي وتطل الشمس بنورها المقدس فأتأوه لعذرية الشروق فتجتث مفاصلي وتذهب الليلة في وادي من النسيان وأكتم الأحلام، فأحلامي معقدة أكاد لا أفهمها ولكني أكتبها كل ليلة في مذكراتي السوداء "

ثم ابتلع كوباً من الماء ، ونظر إلى بعيون جامدة وملامح مقفرة بينما حاولت ابتلاع ريقي الغائب الذي امتنع عني ثم أردف قائلاً :

" نعم أنا الليل بتفاصيله الموحشة "

(٦)

امتعضت عيني دمعاً ناظراً بحزن أشارك السماء الأمطار ، الدموع تزداد بفعل ذكريات قديمة موحشة ، تتأرجح عيوني خلسة ما بين ذلك الجالس أمامي في هو ، يحمل نفس ملامحي ، أتمنى لو اقتلع عينيه وامحو كل مخططاته الشيطانية وأزيح طلاسم يديه من على جثث ضحاياه ، وارتمى إلى عقلي سؤال فرددته سائلاً :

" ماذا تفعل في أوقات فراغك ؟"

نظر إلى بينما ينساب الحساء من على أطراف شفتيه وانسدل لسانه زاحفاً يتلمس شفتيه ثم بنظرة فولاذية قال :

" ارسم وانحت "

" ماذا ترسم وماذا تنحت ؟ "

" ارسم صور مجروحة كتلك التي هناك للفتاة التي تدكها حصون غصون الأشجار وانحت صور العاريات "

" العاريات ! "

" ليس كل العاريات يا صديقي هي كل من تجردت من ملابسها "

نظرت إليه للحظات وساد الصمت بينما ظل هو منهمكاً في تناول وجبته بلذة غريبة لا يملكها سوى حيوان وقلت:

" إذن أنت تدرك جيدا أن العري هو العري من المبادئ والأخلاق والدين والإيمان والاعتقاد في الجنة والنار ".

" الجنة والنار .. ! "

" نعم "

" لما كل البشر مهووسون بتلك النظرية العميقة والتي لا أكاد أفهمها "

" ماذا تقصد ؟! "

" ذلك الاعتقاد وعودة الروح إلى الجسد والحساب المنتظر وما إلى ذلك "

" معنى ذلك أنك لا تؤمن بالجنة والنار ؟! "

نظر إلى للحظات ولم ينطق سوي بالصمت بينما انخرطت ضروسه تطحن الطعام في بطيء شديد ، وظلت عيناه معلقتين على ملامحي كأنه يدرك شيئاً ما ثم قال:

" حدثني عن الحب ؟ "

نظرت إليه بابتسامة خفيفة لم تغير من ملامحي شيئاً ثم قلت :

" الإيمان بالحب كالإيمان بالأديان والاخلاص للحب كالاخلاص للوطن"

ثم نظر إلى بامتعاض ثم قال:

" وهل أدخلك الحب الجنة ؟ "

ساد صمت لحظي ثم أردف قائلاً :

" أم أدخلك نار الدنيا وصرت معذباً في الدنيا كما ستعذب في الآخرة؟! " .

غبت للحظات محدثاً نفسي :

" إنه يتكلم عن الدنيا والآخرة ، فكيف لا يؤمن بالجنة والنار ثم رفعت عيناي في بطيء شديد وقلت :

" الحب هو العذاب الذي طالما ننتظره طويلاً، وإن لم يأت بحثنا عنه وإن لم نجده انتظرنا خلف الأبواب في حزن عميق ننتظر في شوق مؤلم قرع الأبواب "

" ولما كل ذلك ؟"

" لأنه الحياة بعذابها المجنون ، الصدق الوحيد في تلك الحياة البائسة والمشاركة لكل أنواع الجنون ، الأمان من الخوف المجهول ، الرغبة القصوى في الاخلاص والاشتياق الذي ينتهي دوماً بدفء الأحاسيس والدموع الدافئة "

نظر إلي في ذهول وجحظت عيناه ثم سألني بصوت ضعيف :

"وهل أحببت ؟ "

" نعم أحببت "

" وهل تعذبت ؟ "

" ككل من تعذبوا ولكنهم لم يتوقفوا بحثا عن عذاب في مكان آخر "

" أليس غريبا ذلك الحب ؟! "

" معقد إلى أبعد الحدود ، مفعم بالألغاز ولا يعلمه سوى من أحب، ولكن يبقى سؤال عند كل نهاية فتحاول مجددا أن تعيد الكرة لتجد اجابة ولكن يظل كل شيء في غموض " .

" ما أعلمه عن الرغبة هو الانتظار إلى الذروة لتحظى بأقوى أنواع اللذة في حجرة لا يملأها سوى امرأة جسدها ثعبان، ابتسامتها شيطان، وأنفاسها تتضرع لتسقيك ليلة وكأنك في موجة عذرية وتحاول أن تأخذك إلى بر الامان ".

فنظرت إلى النافذة مطلاً على السماء ثم سكنت للحظات وقلت :

" إنها فقط الرغبة الشيطانية "

وساد الصمت على صوت انفاسه وانفاسي المتصاعدة لتتلاحم مع الهواء المتحجر خلف قضبان النافذة ..

(٧)

هطلت الأمطار وكأنها تعزف لحناً عميقا يملأه الحزن في تناغم غامض وظلت الاقدام تهرول تستتر بإحدى الجدران ، أو الاسقف المبللة الغاضبة بينما وضعت إحدى قدماي فوق الأخرى وأشعلت سيجارتي ورسمت ذلك الدخان على لوحة الهواء القابعة في مواجهتي وعدت للوراء انبش في الذكريات ، لكم كان الحب جميلاً في عهدي القديم مع حاملة العيون السبية والشعر الليلي الحالك ونغم الصباح على صوتها الرنان يملأني، وتذكرت كم كانت قاسية الحياة لتفصلنا في غموض، وأسئلة بلا اجابات مقنعة ، وعاودتني ضحكتها الدامعة ومنديلها الذي لا يفارقها فابتسمت في حزن شديد وتمنيت لو أن للحب رائحة نعرفه بها فنحول عنه زاحفين بكل القوى الممكنة بعيداً عن عذابه، وعاودتني ابتسامة صافية عندما شعرت بكفها الرقيق يحنو على ملامحي فيزيل دمعي المتساقط ، واجتاح صمتي سؤال من ذلك الذي يحمل ملامحي .

" كيف تقضى ليلك ؟ "

" كيف تقضيه أنت ؟ "

" أمارس كل المحرمات لأجد السعادة "

" وهل وجدتها ؟ "

" في كل ليلة يخيل لي ذلك ولكني لا أعلم "

هز رأسه ناظراً إلى الأرض ثم أردف بصوت غير مسموع قائلاً:

" لا أعلم "

ثم نظر إلى وسألني بنبرة ملحة :

" كيف تقضى ليلك ؟ "

" لا أدرى ولكنه يمر ببطيء واقتضاب وربما عذاب "

" ولما كل ذلك ؟ من أجل الحب ؟ أم من أجل البحث عنه ؟ أم من أجل ماذا؟! "

" ليس من أجل الحب فقط "

" إذن لما كل ذلك ؟! "

" لقد افتعلت في حياتي الكثير من الحماقات وخالفت ديني كثيراً وقتلني الجهل مرارا وأضعت وقتي لسنوات دون جدوى ، وتنازلت عن كل الاحلام، ولم يتبق سوى حلم واحد "

" وما هو ؟ "

" ارضاء السماء "

" ارضاء السماء ! ماذا تعنى ؟! "

" أعنى إرضاء الله ومحاولة الوصول إلى كرمه ورحمته "

نظر إلى طويلاً وظلت عيناه شاردتان تتفرس ملامحي، وارتطمت بشفتيه العديد من الأسئلة ولكنه لاذ بالتردد الذي غلبه فتحول إلى كتلة من صمت مخيف .

(٨)

ذهبت شريداً أحيي حفل عزلتي ، بينما تراءت إلى عقلي الأفكار وذهبت الأفكار جميعاً في اقتناع أن كل شيء سينتهي ، ستنتهي الأيام ومعها العمر كما انتهت أيام السلطة والحب والطفولة والبراءة ، وربما سيأتي يوماً تصاب به الذاكرة بالهرم الشديد وتضيع معها حتى الذكريات التي تأتي بين ابتسامة واسى وندم ولكنها تتبقى أخيراً أحداث مفعمة بذاكرة شخص ما ، وبين الشرود اجتاح السماء غضب عظيم لم اعتاده حتى في كوابيسي الصارخة ، السماء تصرخ في غضب مبين ، البرق يرسم عينين غاضبتين في جوف السماء ، الرعد يقتلع القلوب وتمرول له الأقدام وتعلو معها الصيحات المكتومة من خلف نافذتي حتى المطعم أصيب بالارتياب من وقع الأمر، بينما تسمرت عيون ذلك الذي يحمل ملامحي في أم عينيّ ، ورأيت مائة ألف علامة استفهام تقتلعه من شخصيته الغامضة المبهمة، ووجهه المتجهم الذي يتوارى خلفه ألف قصة ، جحظت عيناه وتشنجت يديه وأصيبت عيناه بالرجفة ولم يمنع ذلك احتفاظه بطريقته الارستقراطية جداً حتى في إعلان الخوف والحيرة ، نظر إلى في تحدٍ واضح بينما تعلن السماء عن غضب أكثر وربما لن ينته ثم قال :

" هل تعترف بالقانون ؟ "

" أي قانون تقصد ؟ "

" أي قانون ؟ "

" نعم أنا أعترف بالقوانين وفوقها جميعاً قانون السماء .. وأنت ؟ "

" إنني لا أبالي القوانين فأنا صانع القوانين ، ولا أحترم أي سلطة فأنا فوق أي سلطة "

اعتراه كبرياء عارم ولكنه مشتت. وتكورت السماء في صورة رمادية قاتمة أقرب إلى السواد المتلفع بالغضب الجموح ثم قلت متطلعاً بغضب أكثر :

" قانون السماء فوق كل القوانين "

فرمقني بنظرة عابرة بينما يؤرقه ذلك الغضب الإلهي ثم أردفت قائلاً:

" من السماء تأتي كل القوانين .. المصير ، الرزق ، القدر ، الحب والموت فاحترام السماء هو احترام كل القوانين والإيمان بها هو إيمان لا يقبل أي نقاش " .

فنظر إلى بينما تكور في كرسيه الخشبي وامتلأت عينيه بحيرة مشردة على طرقات السماء من خلف النافذة ثم سألني بامتعاض :

" ماذا تعرف عن العذاب ؟ "

نظرت إليه بابتسامة يشوبها صوت الرعد الذي تمنعه النوافذ من التسلل إلى جوف أسماعنا والصهيل بصرخة على ممرات المطعم وكأنه قادم سريعاً، فلا مكان للاختباء من الغضب ثم قلت :

" العذاب هو أن تعذب نفسك أولاً ومن ثم الآخرين "

" كيف ؟! "

" أن تقتل الرحمة في النفس ذلك عذاب ، أن تلون الصدق بالكذب ذلك عذاب ، أن تقتل الحب ذلك عذاب أكبر ، أن تعيش بلا جدوى بلا هدف فهذا عذاب أكبر وأكبر ، أن تذهب من هنا دون عمل تُرحم به فذلك كل أنواع العذاب "

وهنا ارتفع صوت الأذان يختلط بصوت السماء الغاضب والأرض العطشى التي تشرب بنهم شديد وتكتم أباريق الماء في جوفها وتلاقت العيون كأنما كل منا ينظر في مرآة ..

" الله اكبر الله اكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمد رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله "

ملأني صوت الأذان فذهبت سريعاً أزيل الغبار عن ذكريات صباي العتيق وزحفي سريعاً إلى المسجد لألتقي بالأصدقاء ، كنا هناك ما زلنا نرتدي عباءة النقاء والخوف من الألم وعقاب الله السريع ونتعلم دروس الحياة بابتسامة لن تعد ، فغمغمت بصوت لن يسمع بفعل الطبيعة الثائرة الذي يقودها الرعد الجامح :

"تباً لكِ أيتها الحياة تغتصبين دوماً النقاء والطهارة "

(٩)

عادت لي مبادرات الحب سريعة تسبقني إلى وادي الذكريات في حركات كلاسيكية اصطدمت بطلبي نوعاً آخر من القهوة ليس أقل مرارة من الأولى، وتابعت الرجل على الجانب الآخر وهو يحتسي الطعام في بطيء شديد يتصبب عرقاً وتشوب ملامحه زفرات من الخوف والأنين وعينان تسكنهما الحيرة والأسئلة الهاربة اجاباتها، ما لبث أن نظر لي ولا تحمل ملامحه سوى شفتان أشرفت على الهمس بسؤال فسأل بصوت خافت وعيون في أوج الانتظار :

" هل تؤمن بالحياة الأخرى ؟ "

" كما أؤمن بتلك الحياة ؟ "

" وإلى أي مدى تؤمن بتلك الحياة ؟"

" كما تؤمن أنت بالرعد وهمسه الصارخ "

" اللاضمير ؟! "

" هو أن تقطع السلك الشائك بين أخلاقك وهوس أفكارك المحمومة المغلفة بأساليب الشيطان المنتظر حد بابك دوماً في اشتياق، أن تعتلي منصة اللامبالاة تقتل نفسك أولاً وتحول عن شعور من حولك، تقرع أبواب الرذيلة وتستبيح المحرمات كحلال يقين "

نظر إلى بدمعة تختفي في جوف عينيه ثم تعلقت عيناه بإحدى السحب القاتمة السواد ثم إرتجفت شفتاه ودون أن ينظر إلى قال:

" اكتشفتُ أني لا أبالى بالموت ولا أحترم السلطات ولا أخضع للقوانين وقد أتنازل عن الأشياء، كل الأشياء "

تنهد في حزن دفين ثم نظر إلى بدمع لا يكترث لرباطة جأشه ثم أردف قائلاً :

" لم أدر أين السعادة فقد ارتكبت كل المحرمات وسرت على كل الطرقات وحطمت قيود القلوب العذراء ونبشت آدميتها وخلّفت ورائي مدينة من الأوجاع يسكنها كل من صادفتني بهم الحياة ، أحببت حب المخمورين وخيانتي كانت أعظم من خيانة اليهود ، عصيت الرحمة في قلبي وتضرعت للقذارة واتخذت الشيطان خليلاً "

ثم ابتسم في فتور وتلاقت دمعة من عين واحدة ابتسامته الباهتة ثم قال

" حدثني أكثر "

فحدثته عن الموت والعقاب وأن يصاب أحدهم بالعار ، حدثته عن الضغائن ، وعندما حدثته عن النار ارتجفت عيناه وسمعت تخبط أسنانه ولمحت المطر بعينيه وجحظت بدورها لتلتقي بغضب السماء التي تحولت إلى مارد لا يرحم ، السماء تقذف بحممها والأرض تهتز من فوقها وقع الاقدام مهرولة، وأنا بعيني أراقب في دهشة ما يجرى ، الاشجار مسرعه بأغصانها نحو اليمين ونحو اليسار وقد تسمرت قدميها فما من منقذ ، تستغيث بالهاربين عل من يسمعها فيجيب استغاثتها ولوحت بعينيّ إلى السماء ومرت أحداث وتيدة تتخبط بذاكرتي وتحملني الذكريات في عنف بين

الوداع والخطيئة والألم، ونادراً بين الابتسامات المهمشة بين جدران ذاكرتي وبرز كل شيء لون البرق الناري في السماء، وصوت الرعد الخاطف للطمأنينة في القلب وعدت لاستطلع من يحمل ملامحي، فلم أجده فدرت بعيناي في سرعة وخفة وغمغمت :

" أين ذهب ؟ "

ارتمت عيناي بين جدران المطعم أنقب عنه في كل مكان فلوحت إلى أحد العاملين في سرعة فجاءني مسرعاً فسألته في لهفة وعيون لا تطيق الإنتظار:

" أين الرجل الذي كان بصحبتي ؟ "

نظر لي وكأنه لا يفهم ثم قال بدهشة:

" أي رجل ؟! "

نظرت إليه في دهشة شديدة ثم قلت :

" الرجل الذي كان هنا يتناول طعامه على طاولتي "

فنظر لي في دهشة أشد من دهشتي ثم قال في عدم اكتراث وهو يعطى لي ظهره مستسلماً لنداء أحد الزبائن :

" لم يجلس هنا أحد سواك ولم يشاركك أحد طاولتك "

شردت للحظات وفتحت عيناي كي أوقظهما ونظرت إلى الشارع، فلم أجد سوى الشمس في جوف السماء وقد أسدلت ستائرها الزرقاء .

٢. غرفة الانتظار

هنا ستنظر معي ، أنا وأنت والشيطان ، لن يأخذك الموت
من بين أنيابي فالرحيل عني درباً من المستحيل

(١)

" سيُحكم عليه ربما بالنفي مدى الحياة "

" لماذا كل ذلك ؟ فكل ما إرتكبه فعلياً هو الانتقام لأجل الحياة "

" ماذا تعني ؟! "

" أعني أن كل ما فعله كإنسان أنه قتل انتقاماً لأخته التي قتلت عمداً على يد أحد المخمورين الأغبياء "

" ما تقصده هنا أنه عالج المسألة بعدالته واستغنى عن عدالة السماء "

" عدالة السماء ، إنها كلمة أكبر بكثير من وطئ وقعها القدسي "

نظر إليه في حيرة من أمره، بينما احتسى رشفة من قهوته شديدة المرارة ثم قال بنوع من الحيرة :

" ماذا تقصد ؟! "

" أقصد أننا نحن البشر لا نفكر عندما نخسر أحدهم، فما أصعب أن نصحو في اليوم التالي فلا تجد من يملك ذلك الجزء من ذكرياتك وكأنه شيئاً ولم يكن " .

ثم صمت الاثنان للحظات بينما نظر أحدهم إلى السحابات الرمادية التي تغطي تجاويف السماء المتبقية، ثم عاد بناظره أدريان ليحملق بتلك القهوة الممتدة أمام كريستيان وبطريقة تشبه طرق النبلاء أردف قائلاً :

" هل تعلم ماهية ذلك الشعور بالانتظار الذي لا ينتهي ولن ينتهي سوى بانتهالك في انتظار شيء ما مع علمك المسبق أنه لن يأتي ؟ "

نظر إليه أدريان بلا أي رد فعل ثم قال :

" وهل هذا يسمح للبعض بارتكاب الجرائم من أجل الانتقام ؟"

ابتسم كريستيان ثم قال :

" قل للتنفيس أو ربما قل للانتقام من الفراغ المخلف بعد رحيل أحدهم"

رشف أدريان قهوته في صمت مريب في ظل تساقط الأمطار على مرمى النافذة القابعين خلفها بينما قال أدريان بنبرة متألمة :

" ما أصعب أن ننتظر في غرفة الانتظار "

أومأ رأسه كريستيان بالموافقة ثم قال بنبرة غير مسموعة :

" نعم غرفة الانتظار ، غرفة الانتظار " .

(٢)

لم يكن ايهاب يعلم بموت أبيه بعد وصوله فرنسا بثلاثة أيام، ولكن مر الثلاثة أشهر ليعلم الآن وهو في طريقه إلى ذلك المقهى ، لم يستطع أن يلقي كلمة سلام لأبيه قبل الذهاب ، لم يكن هناك ليقبّل رأسه وهو في ردائه الأبيض ، ارتطمت بقلبه الأفكار وتلاعبت بعقله الهواجس ولكن شيء ما اصطحبه إلى ذلك الطريق ليقابل علي صديقه المغربي :

" أهلاً علي "

" أهلاً ايهاب "

" هل الحياة دائماً تقذفنا في غرفة الانتظار ؟! "

نظر إليه باهتمام بالغ وامتلأت ملامحه بالحيرة الاستفهامية ثم قال باهتمام :

" ماذا تقصد ؟! "

" لقد توفى أبي يا علي "

تساقطت دمعة منه وامتعضت شفتاه وتقابلا حاجباه في زحام ضيق يرسمه الحزن والألم ثم أردف قائلاً :

" أترى تلك الساعة في يدي ؟ "

فابتسم علي ابتسامة باهتة ثم إقترب منه وأومأ رأسه بنوع من الأسى ثم قال :

" نعم ، إنها جميلة وذات ذوق عالي "

ابتسم ايهاب ابتسامة مبللة ثم قال :

" لقد أهداها لي أبي قبل مجيئي هنا بسبعة أيام كان يردد دائماً.. الهدايا تذكرنا بمن ذهبوا ، فهناك دائما شيئاً مرتبط بما نملك من الاصدقاء والاقرباء "

ثم ابتسم ابتسامة عريضة ثم أردف قائلاً :

" عندما نظرت إليه الآن عاد سجل الذكريات مفتوحاً على صفحاتي معه ،وتلك المشاهد التي لن أنساها مهما طال بي العمر "

فقال علي بنوع من المواساة :

" هون عليك يا ايهاب "

فابتسم ايهاب معطياً ظهره لعلي ثم قال :

" أتعلم أن غرفة الانتظار كل يوم تزيد اعدادها يومًا بعد يوم، ولن ينتهي القادمون إليها ولن تغلق أبوابها يوماً ، فكلنا نتجمع فيها دون سابق إنذار تفرقنا الصفات والمعالم والجنسيات ولكن يجمعنا الانتظار " .

أومأ برأسه موافقًا، بينما ظل الاثنان يحدقان في السماء بنوع من التأمل ثم قال ايهاب بنبرة صوت متحشرجة :

" غرفة الانتظار "

(٣)

" الن تأتى معنا يا سمر ؟ "

" لا فأنا في انتظار أختي سحر هنا ستأتي بعد قليل وسألحق بكم بعد ذلك"

" كما تحبين، ولكن لا تتأخرين سنذهب نحن لتحضير الحفل من أجلها"

ابتسمت ابتسامة موافقة ثم ذهب الجميع وتبقت في ذلك المقهى تنتظر فهي لم تر أختها التي تعمل بالخارج منذ ثلاث سنوات وكم تشتاق إليها ، فهي توأمها فكيف يكون النسيان ؟ فكيف تكون الحياة دون النصف الأخر من الروح ؟!.

إنه جرس الهاتف ويحمل رقماً من إحدى البلاد التي لا تعلمها

" أهلاً سمر "

" أهلا حبيبتي ، من أين تتحدثين ؟

" إنني أتحدث من ايطاليا "

جحظت عيناها وتحشرجت الكلمات ثم سكنت على الهاتف بينما قالت سحر:

" إنني أسفة ولكن ظروف العمل منعتني من المجيء اليوم "

ابتسمت سمر بحزن شديد ثم قالت :

" لا عليكِ سأنتظرك هنا ، متى ستأتي ؟ "

قالت سحر بنوع من الحرج :

" لقد ذكرت لكِ سابقاً أنني لن آتي اليوم، ولكن إن شاء الله سأتدبر أمري واستطيع المجيء خلال شهر "

سكتت سمر مرة أخرى على الهاتف محاولة جمع بقاياها ثم قالت :

" فقط كوني بخير وراسليني دوماً "

قالت سحر:

" سأفعل وأنتِ الأخرى عديني بذلك "

قالت بابتسامة باهتة :

" أعدك "

أغلقت سمر الهاتف بينما انصبت على علبة السجائر وأشعلت سيجاراً وحدثت نفسها قائلة:

" لمتى سأظل معلقةً في غرفة الانتظار ذلك العذاب يصدعني ويقتلني الملل والضيق والخوف . يا لها من غرفة ! الانتظار فيها مستحيل ولكننا فيها نتخطى المستحيل فلا شيء أمامنا سوى تلبية أوامر الانتظار المهين "

ثم بنوع من السكون المؤلم نظرت للقادمين والراحلين ممن بدأت دقات انتظارهم للراحلين، وممن انتهت دقات انتظارهم للقادمين هامسة في أسى :

" يلا غرفة الانتظار هذه! قليلاً من يخرجون منها وكثيراً من يدخلون "

" لقد ذهب وتركني وحيدة في تلك الحياة وأنا الناهز الاربعين الآن من العمر"

" لا عليكِ يا سارة ، يجب أن تجتازي تلك المرحلة فأنتِ قوية دائماً "

نظرت إليها بأعين يغطيها لون المياه المالحة وحاولت النظر إليها ببسالة، ثم قالت بنبرة حزينة :

" من أين لي بالقوة بعدما فقدت أهم عوامل القوة وأسباب الحياة ؟!، فقد كان هو الإنسان الذي يعطيني دوماً الدفعة البشرية العميقة لأستمر والمدى العواقب، من أين لي بالقوة الآن ؟! وكيف ستكون الحياة دونه ؟!"

نظرت إليها نظرة مواسية ثم قالت:

" لا عليكِ يا سارة ، كل ما في الأمر أنها مسألة وقت، وستعلمين جيداً أي الطرق ستسلكين وستجدين دافعاً قوياً وأنتِ ما زلت شابة وأمامك متسع من الوقت لتستمري ".

ابتسمت ابتسامة ساخرة ثم قالت :

" نعم أنا شابة في انتظار الموت !! "

" لا تقولي ذلك يا سارة ، ستجدين سر الحياة قريباً "

ثم ابتسمت ومسحت على ملامحها وأردفت قائلة :

" حتى الموت يا سارة فيه من الدروس ما نتعلمها دوماً "

نظرت إليها سارة نظرة متألمة ثم قالت :

" هل تعلمين شيئاً ؟ "

نظرت إليها بأعين متسائلة بينما مالت بوجهها ناحية اليمين ثم قالت سارة :

" انه الانتظار..... الانتظار يا صديقتي "

فرمشت اعينها في سرعة اختلطت بالحيرة ثم سألتها قائلة :

" ماذا تعنين بالانتظار هنا ؟! أعني أي انتظار تتحدثين ؟! "

" انتظار من رحلوا ولن يعودوا ، أقوى وأشد أنواع الانتظار هو أن تنتظري شخصاً ما مع علمك المسبق أنه لن يعود ، عندما تختارين إحدى المقاعد في إحدى الغرف المظلمة داخل عقلك مع فنجان القهوة المرير ترمقين تحت تأثير نور خافت أقرب إلى الظلمة البومات الصور التي تجمعك بشخص ما قد ذهب دون انذار، تاركاً خلفه بعض الصناديق من أعياد الميلاد وغيرها من الذكريات المخلّفة عند مرورك بإحدى الشوارع التي شهدت لكما مواقف عديدة وعندما يهل عليك فصل الشتاء وتحاولين ملامسة الدفء في عينيه واحتضان أطرافه للوصول إلى مرحلة الامان من ذلك الرعب الذي يلقيه ذلك الفصل في القلوب، فلا تجدي سوى الصقيع وصورة شبح لرجل رحل في تاريخ ما ولن يعود ، نعم لن يدق جرس الهاتف مرة أخرى،ولن أسمع طرقاته على الباب ولن تفاجئني مرة أخرى رسالله التي انتابها القلق من فرط شعوره بالمسئولية تجاهي "

ثم سكنت للحظة وبابتسامة باهتة أردفت قائلة :

" عندما ندخل غرف الانتظار، لا نملك شيئاً سوى انتهائه أو انتهائنا "

سنغلق الباب الآن ، سننظر حولنا لنجد أن القصة دائماً مستمرة، ولن تنتهي .. فإنها مرتبطة بصندوق الذكريات ورسائلنا المعلقة في تلك الذاكرة الإلكترونية ، ستجد دوماً من يثير الذكريات في موقف ما أو ربما في صباح ما ، ربما مع تناولك لفنجان قهوة في مكتبك أو جالساً في شرفتك ، ستدخل حتماً غرفة الانتظار تتخبط في شيء ما خلّفه الماضي ، إنه دائماً مرتبط بالتذكارات الملقاة في حجرتك، متعلق بالوقت الذي ستقضيه منتظراً وبنوعية الاشخاص الذين تقابلهم في غرفة الانتظار..

لنغلق الباب الآن .

٣. من أجل الشيطان

من أجل الشيطان ستبعثر قيمك وستفقد مبادئك
وستتلوى بين الخوف والمواجهة، سأتركك تتمنى الموت..

لم تكن تدري علياء أنها سوف تأتى بكل تلك الأخطاء لترسم جذور حبها الأول فبالرغم مما سمعته عن جأش الحب وقرار الهوس والفن المذهل في الغناء عندما يلتحم الحب مع شريانها الصغير المستلقي على أعمدة الداخلي وتحول كل المحطات إلى محطة واحدة من العذاب، وبالرغم من أنها مجروحة ولم تكن تعلم بذلك إلا من خلال تلك الورقة المتدلية من خزانتها الصغيرة التي تحوي دوماً الأشياء الغير مهمة على الإطلاق، ولكنها دوماً تحتفظ بها ولا تعلم سراً لذلك. إلا أنها أصرت على تقبل المجازفة والانخراط في عمق الحب العتيق، لم تكترث منها هي الأولى فهي تعلم جيدا أن الحياة تحتفظ لها بالكثير وكل ما عليها هي الإجابة (اعتقاد علياني) .

يدق جرس الهاتف علنا بينما يطرق الباب في نفس اللحظة ، وقفت الحيرة لم تأخذ من تفكيرها الكثير بماذا تبدأ بالباب أم بالهاتف ؟! ، ارتمت عيونها على تلك الأمطار التي تستنجد بها خارج نافذتها الساطعة السواد وذلك الغيوم الذي زاد السواد سوادا، وهناك على وقع الأمطار ذهبت إلى هناك.

" هل لي أن أسالك سؤالا من فضلك ؟ "

تعلوه تلك الابتسامة العريضة والملامح التي تنسبه إلى وطن آخر وحدود زمن آخر، وربما هو بالفعل إنسان آخر من وجهة نظر عينيها الشاردتين في سكون ابتسامته العجيبة.

أومأت برأسها بالموافقة دون كلام قد يعيق عليها التعمق في تلك الابتسامة ، انحنت في مقعدها للوراء بينما تقابلا كتفيها في محاولة إظهار عدم الاكتراث لتلك الملامح المطلة عليها، بينما كانت منذ لحظات هائمة على سفح إحدى الجبال في إحدى الأماكن التي لا تعرفها دوماً والتي تذهب إليها باستمرار حيث يملأها اللهفة عندما تجلس في إحدى المقاهي الحميمة الهادئة ، دوماً تحجز لنفسها مكان مع أول رحلة في خيالها المقدس والمعقد لصديقتها التي دائماً ما تصفها بالمجنونة الهادئة ، فهي تعلم جيداً أن تلك الابتسامة المطلة عليها هي بالفعل كانت إحدى محطاتها التي استقرت بها لفترة طويلة ربما على إحدى الجبال أو في أحد أوكار العصابات على طرق المكسيك، أو ربما في السماء الغارقة في سحابات قاتمة وشمس قد انسحبت لعالم آخر لم تذهب إليه بعد، ربما .

" هل تعلمين انك بحق أجمل من رأت عيني من النساء ؟ "

بدت غير مندهشة على الإطلاق ليس لعلمها أنها جميلة ، ليس لأنها تسمع تلك الكلمات من وقت لآخر حتى من الباعة الجائلين على الطرقات النائية ، لكن لعلمها الأكيد أنها سمعت تلك الكلمات من نفس الوجه الذي يحمل نفس الابتسامة في إحدى المحطات التي غادرت إليها يوماً في عالمها الحقيقي، ولكن كل ما كانت تنتظره أن تأتي إليها الكلمات دون أن تغادر إليها بحثاً أو عمداً ، دون الاحتياج أن تركب ذلك الخيال المقدس . فما أجمل أن تتحقق الأحلام بنفس الخطط المسبقة التخطيط، والأجمل أن تتحقق صدفة دون أي إشعار مسبق .

لم يمر الكثير إلا وجدت يديها في جوف يدين رجل ربما لا تعرفه، ولكنها طالما رسمته كثيراً بين خواطرها التي لا تقرأها حتى أعينها المفقودة في

وسط عالم بدا عليه الانهيار الأول منذ الوهلة التي أطبقت فيها والدتها على صدرها لتخبرها كم هي سعيدة بقبولها ذلك الرجل الخاشع في تذلل في حجرة الضيوف طالباً يدها من أبيها الرجل الأرستقراطي الشديد الجفاف بلا مبررات ولكنها ربما طباع موروثة من عائلة تكاد تفتقر إلى كل أنواع الحياة ، فهناك تقبع لوحة الصحراء على الجدار الأيمن لغرفتها الشديدة الاتساع وهناك على الجانب الأخر تلك الصورة التي ترسم ليلة عرس لكل الحاضرين ولكن ليس لها ، فإنما أطلقت هي عليها لوحة التحرر ولكن لم تكن تعلم أنها تحرر من اجل عالم أخر ضائع لا يحمل أي معاني للحياة المقدسة في يومياتها المختفية عن البشر الغائبة في سرب الضياع .

" لماذا دائماً أجدك حزينة كلما تقابلنا ولماذا دوماً تمتلئ عينيك بالدموع ، لا اعلم ماذا أفعل من أجل أن أرمي السعادة في جوف قلبك ؟"

قالها محتضناً عينيها بشدة بينما ظلت عيناها متصلبة على الأشجار العارية تاركة يديها في جمود قاحل وبمحاولة رقيقة قبل يديها وأردف قائلاً:

"فأنتِ تعلمين حقا أنني أحبك منذ الوهلة الأولى ولم ينتابني أي شعور أخر سوى أن أشهره في العلن ، نعم عينيكِ هي من أعطتني تلك القوة لأقتحم معبدك هنا وأن أحطم كل حواجز وحدتك ولأخبرك بحقيقة إحساسي تجاهك ولم أتصور ... لم أتصور ... "

صمت للحظات محاولاً أن يخفي تلك الحقيقة ثم غمغم قائلاً :

" انك متزوجة "

قالها وكأنه يخفيها عنه لعدم تقبله لها وحتى لا يثير حرائقها الرمادية في بئر الحياة الشديدة التعقيد من وجهة نظره والتي تخالف عقائدها العلمانية شديداً.

" أنت تعلم جيداً أن طلاقي من زوجي هو بالشيء المستحيل .. فهو رجل ذو رأس حديدية وان زواجي له هو بمثابة إحدى المعارك التي انتصر فيها وتعلم أيضاً أن كل الطرق للمحاولة للانفصال فقط هي بمثابة القضاء على حياتي وعلى كل أحلامي وأحلامك التي طالما ترويها لي هنا كلما تقابلنا "

تنهدت بينما تومئ برأسها ببطء شديد نحو الأرض محاولةً إخفاء الحقيقة المنبثقة من بئر عينيها الشاردتين في عالم ضائع وبصوت لا يكاد مسموع ثم أردفت قائلة بحزن :

" إنني أفضل الموت على ما أنا فيه من عذاب ما بين رجل لا أحبه ورجل أحبه وضمير لا يفارقني دافعاً إياي إلى بئر من الجنون "

مر عام وتتكرر تلك الكلمات ما بين الوداع واللقاء ، ما بين الصيف والشتاء وما زالت مقابلاتها لا تنتهي ولا تعلم لمَ ؟! ، فهي تعلم جيداً أن قلبها مشرد على طرق من العذاب لا نهاية لها ، هل تختار أن تكون الأضحية وتعيش هكذا كفيلة بتلك الجدران مع ذلك الرجل الذي لا يأبه لها إلا عندما تعتريه شهوات الحيوانات فيطارحها الفراش وربما رغما عنها في بعض الأوقات إن لم يكن في كل الأوقات أم تترك نفسها لشهوات أفكارها وجنون بحثها عن حب دافئ غافية على أسرّة من الحرام الذي يتجدد مع كل لقاء يجمعها مع ماهر ؟؟!، الماهر في الحب وتلوين الأفكار السوداء ولعب دور العاشق الأفلاطوني فهي لا تعلم حقاً أي طريق تسلك؟!، بئر الشيطان الصغير مع رجل لا تشعره رغم محاولاتها المستميتة في محاولة إحياء حياة لأجلها قبل كل شيء أم بئر الشيطان الكبير الذي يطارح أفكارها وحبها الحالم الغرام في كل ميعاد يجمعهما ؟! .

في تلك الليلة سارت علياء كما الخطة الموضوعة لها لتصل إلى ذلك الطريق الذي يؤدي إلى مسكن ماهر وقد ارتدت ذلك اللون الأسود فقد قررت أن تسلم نفسها إلى أنياب الشيطان الكبير .

همهمت في ثقة ورضاء تام قائلة :

" خير لي أن أعيش ،، وتباً لتلك الدمية .. فمنذ تلك اللحظة سأمارس الحياة كما يجب أن تكون "

هناك على درجات السلم تحصى خطواتها ، مع كل سلمه ترتمي أنفاسها بحرارة في وجه الهواء المطل على وجهها الشاحب الممتلئ بالرعشة الجنونية للخوف والتردد وتلك العلامات التي ظهرت بجانب فمها أعطتها عمر فوق عمرها الذي لا يكاد أن يبلغ الثامنة والعشرين بينما ظل صدرها في ارتفاع وانخفاض ملحوظ وكأنما تصعد أنفاسها الأخيرة دون رحمة من القدر ثم توقفت ممسكة بأخر حبل من القوة وتسمرت قدماها التي تتدلى منها رائحة الخوف فهي على بعد خطوات من السقوط في الهاوية

ثم حدثت نفسها في امتعاض قائلة :

"تباً لذلك الضمير وتباً لكل تلك الاعتقادات وتباً للحياة التي تقتلعني ألف مرة من نفسي دون هوادة وتباً لذلك الحب الذي سينال مني كل شيء "

سكتت للحظات محاولة التثبت بأخر أنفاسها ثم نظرت إلى الأرض في سكون وبوجه يملأه الألم والحاجة قالت :

" لكنني احتاج للحب وها هو هناك ينتظرني كما انتظرته لسنوات "

وهنا جال في خاطرها ليلة عرسها مع ذلك الإنسان التي تمنته إنسان ، وتلك الوعود العنبرية ،ثم إلى تلك الفترة ما قبل الزواج هرولت مسرعة وهناك رأت ابتسامته وكلامه الميال إليها والأحلام الوردية بحياة زوجية قد تكون درباً من الأساطير المعقدة على العقل الآدمي ، تلك الورود التي تزين غرفتها مع كل فجر وإنها الآن سوف تتحرر من عالمها العنفواني المجهول مع أب لا يعرف للنقاش طريق ونظرته للحياة ما هي إلا أعمال ومعتقدات موروثة منذ ألف عام ، وعليها أن تقبل الإرث بأي حال من اجل أجيال قادمة على عاتقها .

تحركت قدماها في مبادرة ليست منها وطرقت الباب ، ومع كل طرقه في كل ليلة تذهب فيها كانت تبيع شيئاً منها ، تتغنى بالحب وتغوص أكثر في عالم الرذيلة المنحدرة باسم الحب الأعمى والاحتياج المبرر ، رسم الشيطان خططه في قلبها بكل إحكام حتى أنها لا تدرى في بعض الأوقات لمن الحق فيها ، زوجاً لا يأبه أم عاشقاً يعطيها ما تحتاج بالفعل باسم الشيطان ؟!!.

لكم كانت الحياة معقدة إلى أبعد الحدود ولكم كان الحكم سهلاً لمن لا يأبه سوى برسم بعض الكلمات لاعتلاء منصة نقاش ما ، هكذا ذكرت لها إحدى صديقاتها عندما أخبرتها هي عن قصتها ولكنها لم تذكر بالفعل أنها هي بطلة تلك الرواية .

الجو تملأه الغيوم وتسير اندفاعات ليلية في وقع مسامعها كصرير مياه خافت وتزلزل عواصف السماء الجدران وتعلو دقات الساعة في صوت مريب يكاد يصفع هدوءها الصامت ذو الطابع الحاد الملامح ، تكاد أن تصرخ داخلها كل الأفكار وتلك المشادة داخل عقلها التي تذكّرها بمناقشة

أولية مع زوجها عن ماهية مشاعرها وكيف أنها تشعر بالوحدة رغم تواجده دائماً جوارها وكيف أنها دائماً تشعر بوحدة يتوجها الصمت بركان أعمى يقذف كل نفاياته في قلبها الصغير المتهدم ، تدق الساعة عالية ويحتدم النقاش حد أن الصوت بدا يعلو صوت الرعد في السماء وعيناه التي امتلأتا بالغضب قد يكون الشر الخارج منهما بمثابة برق أخر يزين النوافذ أكثر مما هو قادم من سماء أصابها نوبات إغماء شتوية .

تتذكّر صرخاتها ومعها الكلمة الأخيرة كفى وتغطيها الدموع في ركن حجرتها المتدلية من مدينتها الخرساء الملامح الواهنة بلا جدال في يد حاكم لا يعرف ملامح الرحمة.

تتذكر تلك الليلة وهى زاحفة إلى مقرها الشيطاني للارتواء برشفات من الحب الزائف في قلبها المتعطش إلى حياة مستقرة وما يحزنها بشدة أن ماهر لا يهمه على الإطلاق ما تمر به من أزمات تقتلع قلبها من أحشاء جسدها وتلك الصرخات التي تزورها كل ليلة في أوج وحدتها والكوابيس التي تفزع دائماً إلى منامها فهي قد تربت على الأخلاق والدين والكرامة والشرف وكل تلك المعتقدات التي أطاحت بها جانباً لمجرد انتهاك حرمة الحب المقدس في معبدها العتيق . تتذكر جيدا نظرات كل من يرمقها وهي على طريقها نحو وكر الشيطان ، وتلك النظرات التي تكاد تشعر أنها تعلم بكل شيء... بكل شيء . فهي تشعر أن الكل ينظر لها نظرة يملأها الغضب والاحتقار ، فكم هي قاتلة تلك الأعين الجوفاء.

بالطبع تحمل مفتاح الآن ، فقد أصبحت سيدة منزل الشيطان وهناك على اليمين تطل لوحة كبيرة لمرآة عارية تشبهها كثيراً وعلى الجانب الآخر تطل مدفأة لم تشعر بدفئها يوماً رغم كبرها ، بينما تلك الطرقة الطويلة التي

تأخذها بأرجل متثاقلة دوماً إلى بئر الشيطان . تمهلت قدميها في فتور وخطوات أشبه بمن قذفته سيارة فأصيب بالعجز . ومع كل خطوة تتذكر خطوتها الأولى نحو عرسها الحالم وتلك الأفراح والابتسامات ، مع الخطوة الثانية تلك الصرخات الوحيدة في عالمها القاحل ، مع الخطوة الثالثة تلك الحادثة التي قرأت عنها عن إحدى الفتيات التي تم نشر صورتها بالجريدة ممزقة إرباً نتيجة خيانة زوجها ، ومع خطوة أخرى كلمات أبيها عن الشرف وانه الشيء الأسمى في الوجود ، بدأت الحرب تدور برأسها الصغير وتتدافع في قلبها الذكريات ما بين الصبا والشباب وما بعد الزواج، ومع تلك الخطوة تتذكر وهي تتألم تحت جسد الشيطان فتلك ليست فعلتها ، إنما هو الحب الأحمق . وأخيراً إنها الغرفة فاستندت إلى الباب بسرعة امرأة اقتربت أن تتهاوى . وهناك أطلقت صرخة صامتة

صرخة صامتة ،،، صرخة أعين جاحظة . وشعر قد شاب في عقده الثالث من هول مفاجأة لم تكن في الحسبان ، فهناك أخرى تتلوى كحية على فراش ماهر الماهر في كل شيء ولكنه بارع في اقتناص النساء وتبديد كل شيء وشراء كل الأخلاق وبيعها في أزهد الأسواق .

وقفت وقد شحبت ملامحها وقد أطبقت يديها على فمها وحاولت أن تلثم عينيها ولكن كيف فقد شُلت الأيدي للحظات وتوقفت القدمان بلا أدنى تردد بينما نظرت إلى ذلك النائم هناك الذي بدوره لم يظهر أي نوع من الدهشة أو المفاجأة فيبدو انه معتاد الأمر بلا جدال وكأنه الدور التمثيلي الذي يقوم به كل ليلة على إحدى المسارح الليلية وقد برع في أداء دوره براعة تامة .

سقطت منها حقيبتها الصغيرة الشاهدة على مصيرها ، والتفتت إلى الطرقة سريعاً وقد أصابها الدوار تتخبط في الجدار الأيمن فيصرعها فتذهب

سريعاً إلى الجدار الأيسر الذي لا يقبلها بدوره فيقذفها مرة أخرى إلى يمناه فتخرجت من المعركة منهكة وعند الباب تعثرت قدماها فسقطت والدهشة مازالت تنهشها ، نعم ذهب الحلم الأفلاطوني فلم تكن سوى فتاة قامت بالدور لبعض من الوقت وقد شعر الجمهور بالضيق منها وطلبوا أخرى ، نعم ضاعت كل الممتلكات الروحية فلم يعد هناك شيء ، أنفاسها تلهث دون جدوى ، تحاول أن تلحق بقطار نفسها الأخير ، وتنهض بشدة لتدرك الباب لتذهب من هنا تذهب بعيدا ثم رددت بضعف ونبرة صوت دامعة :

" لا حب ، لا أحلام ، لقد ضعت بالفعل ، فمن أجل الشيطان بعت كل شيء حياتي ومبادئي ، من أجل الشيطان فقدت نفسي ، من أجل الشيطان انسحب كل شيء مني "

مازال الهاتف يدق بصرخة والباب يكاد أن يُقتلع من جداره، يا ترى هل هو العقاب متوسلاً على الباب ؟! ، هل الهاتف يحمل خبر إعدامي ؟ ، صرعت عيناها وتجمدت أرجلها ولكنها جلست في مكانها وجثت أرجلها لصدرها واحتضنت نفسها في خوف مريب وعيون قد أوشكت أن تقتلع من وجهها الذي يفوقها عمرا بخمسين ألف سنه أخرى ، وظلت ترتجف خوفاً، وظلت هكذا بعد أن قررت ألا تفتح باب ولا ترد هاتف .

٤. عائدة من الموت

العودة من الموت شيء صعب جدا ، أليس كذلك ؟!

(١)

ذكرت له أنها لن تعد قبل انقضاء عطلتها التي انتظرتها منذ زمن طويل.

هل كان يعلم السيد فواز أنه سيشتاق لها بتلك الطريقة ، أم هناك شيئًا ما أراد الإفصاح عنه لكن شيئًا ما منعه .

سيد فواز ذلك الرجل ذو اللحية الطويلة والعينان الجاحظتان التي تحاولا الهروب دائماً من شيء ما خلف ذلك الستار الزجاجي الذي لا يفارق وجهه شديد الميل دائماً إلى الاصفرار .

وفي عمق تفكيره وهو ما زال يمسك بالهاتف بقبضته القوية

"سيد فواز لقد بحثت عنك كثيراً "....

قالها إبراهيم أحد تلامذة السيد فواز، وقد بدا على وجهه الجميل ذلك الاقتضاب والعيون الحزينة وخبر ربما يطيح بسكون السيد فواز

"ماذا بك يا إبراهيم ؟؟؟؟ .. التقط أنفاسك ثم تكلم .. "

"لا وقت سيد فواز اتبعني بالله عليك سأخبرك بكل شيء لكن أسرع فلا وقت لدينا "

القدمان مثقلتان جداً ، والسيد فواز يشعر بشيء ليس بالجيد يدور في مكان ما ، صوت السيارات وسرعة إبراهيم الفائقة في مرور الطريق وذلك السؤال الذي أبى الإفصاح عن ما يدور في نفس السيد فواز.

لم يحاول السيد فواز السؤال ثانية ... هل بالفعل يعلم ما يدور في مكان ما؟! ... هل إحساسه منذ الصباح مع مرارة فنجان القهوة الخالي من السكر هو ما أعطاه ذلك الانطباع ؟ ، أم أنه الخوف من إجابة ما ؟!...

قاطع أفكاره صوت إبراهيم الحزين وصلنا سيدي ....

يبدو أن ما يدور داخل سيد فواز يتحقق ببطيء شديد، ويبدو أن الفنجان لم يكذب ...

(٢)

" هل تعتقدين أنها ستنجو ؟؟؟؟ "

" لا أعلم فحالتها سيئة للغاية !!! "

" إذاً أسرعي فقد تم تحضير كل شيء وسيقوم بالإشراف ثلاثة من أفضل الأطباء لدينا ... "

إحداهن على أحد الأسرة ملقاة .. ومن حولها الكثيرون ممن يرتدون الأبيض وكأنهم ملائكة تقوم بتحضير إحدى الراحلون للرحلة الأخيرة .

ولكن لما السرعة .. فالرحلة ستقوم حتماً في الميعاد .. من منا يستطيع التأخير ؟!!!!!

وجهها الأصفر يدل أنها فقدت كمية كبيرة من الدماء وعيناها الزرقاوان وشعرها المائل إلى لون الشمس عند المغيب .. يبدو أنها امرأة شديدة الجمال ولكن ما حل بها كان مروعاً للغاية .

" نبضات القلب غير منتظمة ... "

" سارة .. احقنيها بمادة الأندرولين .."

" حالاً دكتور "

" جهاد ... هل كل شيء جاهز .."

" نحن جاهزون يا دكتور "

لكن هل السيدة الجميلة جاهزة لنوع آخر من العذاب ؟! فما أكثر الأنامل الحادة التي ستجوب في جسدها الشاحب الضعيف.

صوت الأقدام يدق كطبول حرب أعلنت عن غضبها.

وصرخة أخيرة ..

" افتح غرفة العمليات بسرعة "

(٣)

السيد فواز لا يعلم ماذا يجري

أسرع يا سيد فواز بالله عليك فلا وقت لدينا .

يأمر السيد فواز قدميه بالإسراع ولكن ما أبطأهما

إبراهيم بنوع من اللهفة قائلا :

" أخبريني سيدتي أي غرفة عمليات تكمن فيها السيدة الإنجليزية "

نظرت بسرعة إلى إحدى الأوراق التي تطل خلسة في خوف على عينيها خلف بعض أوراق أخرى أصابها الجمود ثم قالت :

" غرفة عمليات رقم (٧) "

وعند إعطاء ظهره إليها ليخبر السيد فواز المستميت بقوة محاولة مجاراة قدميه فتقول الممرضة بتوتر :

" انها بالداخل منذ حوالي النصف ساعة تقريباً "

التفت إبراهيم إليها في نظرة حزينة كأنه يطلب منها الدعاء لتلك السيدة المجهولة لها ولكن فاجأته تلك اليد على كتفه .

" الآن أخبرني ماذا هنالك يا إبراهيم .؟! "

" لا تتركني هكذا !!! "

أومأ برأسه إلى الأرض في أسى قائلاً بصوت متقطع :

" سيد فواز لا أعلم ماذا أقول ؟؟!! حقاً لكن .. لكن ... "

ينظر إليه السيد فواز محاولاً النظر إلى عينيه قائلاً بتوتر شديد :

لكن ماذا يا إبراهيم .. لا تطيل انتظاري بالله عليك أخبرني "

وبسرعة عفوية قال :

" إن السيدة لويزا في حالة حرجة فقد اصطدمت سيارتها بإحدى السيارات على الطريق الزراعي ... وقد أخبرني احد أصدقائي الأطباء بذلك "

اختفى صوت إبراهيم من آذان سيد فواز فقد ذهب سريعاً إلى المكالمة الأخيرة ثم حدث نفسه قائلاً :

" لقد كانت هناك تحدثني وكلها حيوية... نعم كانت تقص لي مدى فرحتها بتلك الأجازة التي حلمت بها منذ وقت طويل .. كيف ؟! لقد كانت منذ حوالي الساعة تحدثني على الهاتف لقد كانت تحدثني على الهاتف.. لقد كانت تحدثني على الهاتف "

" أعطني المشرط يا جهاد "

" هل أنت متأكد يا دكتور محمد ؟! "

ذلك السكون والنظرات المتسائلة من خلف الأقنعة البيضاء

" دكتور محمد .. دكتور محمد .. دكتور "

يا ترى بماذا يفكر دكتور محمد ؟! فهو يعلم جيداً ما معنى الروح ويعلم أيضا أن النائمة أمامه والتي ربما ستوقع أخر ورقة في عالم الأحياء ستوقعها على يديه إن لم يأخذ القرار الصحيح.

وهنا استفاق دكتور محمد على صوت جهاد الذي كاد أن يملأ المكان بنوع من الفوضوية ثم قال :

" نعم أنا متأكد ... دعونا نقوم بالعمل الصائب الآن "

(٥)

في وجه السماء ومن خلف تلك النافذة يطل السيد فواز في سكون تام، ووجه لا يحمل أي نوع من التعبيرات ، ويداه ضائعتان في جوف صدره يشبكهما وكأنه يحتضن أنفاسه التي توشك على الانتهاء من قهر الانتظار.

" لا تقلق سيد فواز .. إن شاء الله ستنجو "

قالها إبراهيم والدمع يجرى في خط نهري حفر مجراه في صحراء وجهه من فرط القلق والانتظار.

أومأ السيد فواز برأسه وعاد مرة أخرى إلى السماء فهو يعلم جيداً أن لا ملجأ من قضاء الله .

وفجأة تختفي السماء خلف سواد سحابات قادمة لتشارك السيد فواز الخوف وتزيد الخوف خوف والإعياء إعياء ثم همس لنفسه قائلاً :

" هل ستكون اللحظات الأخيرة حقاً ؟! هل ستكون آخر الذكريات مجرد مكالمة هاتف ؟! فإنها القوة التي تحملها أجزائي "

تبسمت ملامحه في لوحة غريبة عندما تذكر كلماتها الفولاذية عن الحياة، الحب، العلم، الثقافة، الملل، والسفر إلى إحدى الدول الغربية وكلماتها الرقيقة عن سر القهوة في الصباح، يتذكر تلك الضمة عند

إحساسه بالوجع وتلك الأيدي الماسية التي تتلفظ بكل الكلمات الرومانسية .

تنهيدة ثورية تحمل ألف معنى مؤلم تخرج عازفة مع هطول الأمطار، وكأنها تراتيل وداع لشيء ما وربما كل الأشياء ، تعانق الأمطار عينيه خلف النافذة وتتبقى أنفاسه تجهر بكلمات غير مفهومة ويحاول يديه معانقة صدره أكثر، محاولة أن تهدئ من روع دقات قلبه الصريع .

(٦)

" دكتور إننا نفقدها "

" جهاد صدمات كهربية بسرعة "

" واحد ... اثنان... ثلاثة "

يتطاير صدرها النحيل إلى الأعلى بقوة ، وتعود كما كانت بل أكثر شحوباً وتشير الأجهزة أنه لا فائدة .

" أعيدوا الكرة "

" واحد ... اثنان ... ثلاثة "

وهنا مع الثانية يتطاير جسدها لأعلى كمبارز في مقاومة مع الموت ولكن هيهات يعود في استقرار كما كان بلا فائدة .

" الأخيرة الآن "

" واحد .. اثنان .. ثلاثة "

" الآن "

يعم الصمت المكان .. وتتلاقى الأعين وتفقد الحياة جوهرها في لحظات مع أنين الجهاز الذي يعلن أن النبضات القلبية أعلنت الاستقالة .

(٧)

تلك الحجرة التي تعمها فوضى الورود في كل مكان، ومعها يتطاير نوع غريب من الإرهاق والتعب الناتج عن معاناة الجدران لتقبل ألم ما ،وتلك النائمة في ثبات عميق مع وجهها المرسوم باللون البرتقالي كوردة ربيعية في ربيعها الأول، وهناك عند تلك النافذة شمس صباحية تطل بابتسامة تحملها نسائم الشرق

وعلى ذلك الكرسي المتأرجح بجانب السرير، ذلك الرجل الذي امتلأت ملامحه بالإعياء والراحة في نفس الوقت

" حمدا لله على سلامتك يا لويزا "

تنظر بابتسامة تكاد تخترق جدران قلبه ثم يحدث نفسه ناظراً إلى عينيها

" نعم يا لويزا أنتِ الحياة ، القوة والروح التي تمدني كل يوم بشمس جديدة يأتي مولدها مع استيقاظ عيناكِ .. نعم يا لويزا أنتِ النهار الذي يصب في مداخل قلبي .

فلا تفعليها ثانية .. فأنت من أجلى عائدة من الموت "

٥. الانتظار ما بين الموت والحياة

الانتظار دوماً مبهم وليس له تفاصيل أو طقوس معينة
ولكن هنا الانتظار موت أو حياة يا تُرى ماذا ستكون
الإجابة

ارتطم برأسه ذلك الضجيج القادم مع إعلان السيارات المرور بهدف أن توقف مسيرته القديمة من أرض جاء منها في نفس الوقت الذي لفت انتباهه أنه ليس نفس الشخص الذي مر هنا منذ أمس ، فكل شيء كما هو وربما نفس السيارات التي لم تمنعه من المرور بالأمس هي نفسها التي تمنعه اليوم فهو يعلم جيداً أنه ليس هو ولكن ذلك الضجيج الذي يلوح في مخيلته الصغيرة كانحصار جيش قديم خلف أسوار منيعة في زمن القدماء، وذلك الشعور أنه ربما لم يمر من هنا يوماً هو ما استوقفه مدعياً أنها السيارات التي حالت بينه وبين الضفة الأخرى ، لكن ذلك الضجيج يحول بينه وبين نسمات الضفة الأخرى ، امتدت رئتيه في ضيق محاولة الانفتاح للهواء المنبعث من الضفة المطلة على الشاطئ الآخر من نفسه القابعة في محاولة مرور المستحيل ، قدماه التي انزلقتا ليرسما له لوحة محارب على وشك بداية حرب مع الذين جاءوا لاغتصاب أرضه الخضراء، وأن الوقت آن إما للموت أو للعبور والتحرير . فوقفته تلك تذكره بليلى صديقته التي أصرت ملايين المرات أن العالم ليس له وجود ولكنه دائماً ما كان يصرخ بثبات واضح كامرأة في منتصف العمر،بالرغم من أنه كان يوافقها تماماً في أن العالم ليس له وجود ربما في تلك اللحظة التي تحشرجت فيها ذكرياته على ضفاف الطريق ، هي تلك الصرخة التي أطلقها بالمعارضة بالرغم من الموافقة ، و فجأة أحس بذلك البركان القادم عبر رئتيه الذي صرع أفكاره عن ليلاه والعالم المختفي في حدود لا يعلمها هو ولا ليلى، تلك التنهيدة التي أوشكت التي تقتلع رئتيه معاوداً النظر إلى السيارات التي

بدت له أنها تلف في دائرة صغيرة جداً ، حتى أنها تعود في سرعة فائقة لتمنعه من العبور . ثم سمع تلك الكلمات التي قذفها أحدهم يوماً عندما احتسى كوبا من الشاي على المقهى الذي مر به يوم أن كان تائهاً في إحدى المدن التي لم يعتد زيارتها ، فهو دائماً ما يحاول أن يضيع على طرق في زمن مفقود وربما يبحث عن الزمن المفقود نفسه ، كم كان الشاي ذو رائحة خلابة كتلك القادمة مع نسمات البحر الصباحية في شتاء يحمل السفن القادمة مع الغرباء الذين قرروا أن يتخذوا ذلك الميناء هبوطاً لكل الأحلام وربما هروباً من كل الأحلام ، عاد مرة أخرى مع ذلك الشاي الذي أشعره أنه من نوع فريد ولا ينتمي إلى تلك المدينة، وما أكد له ذلك أن من قدم الشاي يتحدث بلغة لا يعرفها أهل المدينة الضائعة ولكنه دائماً لا يقدم سوى ذلك الشاي الغريب في المدينة الضائعة فيها قدماه ، ومع إحدى رشفات الشاي نظر بجواره ليجد ذلك الرجل الذي بدا له كتمثال من زمن الرومان ، وبمرارة ليست كتلك التي تحدثت بها أمه له عن مرارة افتقاد أحدهم قال :

" تباً لتلك السيارات التي تمنعني من العبور للضفة الأخرى " .

تحرك التمثال بسكون مبالغ فيه بعد أن عادت إليه الحياة ليستطلع من ذلك الزائر الذي قام بشراء إحدى التذاكر ليقوم بفحصه، وربما بنشر مقال ما عنه في إحدى الجرائد التي لا يقرأها أحد وربما لا يقرأها سوى المجانين بالماضي البعيد ، ثم رفع حاجبه الأيمن وامتلأت عيناه بنوع من السخرية كأنه يشاهد أحد المهرجين الذي يحاول أن يستولي على انتباه أحدهم ، و بلغة صامتة للغاية لا يفهمها سواه قال :

" العبور إلى الضفة الأخرى سيأتي ، كل ما عليك هو التمهل حتى يأتي الميعاد "

" الميعاد .. الميعاد ... الميعاد " .

رددها كثيراً كأنه يحفظها آملاً ألا ينساها إذا طال به الانتظار واستجاب لملائكة أفكاره وحاول تهدئة ثورة بركان رئتيه التي اتخذتا وضع الاستعداد بالانفجار إن لم يأت الميعاد الآن .

ثم بحذر جارف وكأن صخرة كبيرة ستهوى على رأسه الذي دائماً ما ينبع منه ذلك الرجل الكبير ذو الملامح الموحشة، ولكنه ليس كذلك الشيخ الكبير الذي يقابله كل يوم عند مقابلته بالمرآة التي تقبع بدورها على إحدى الأبواب في منزله الذي تناساه في طي الانتظار قال :

" ولكن متى الميعاد؟؟ "

قالها في حنق شديد وملامح تلك المرآة التي تحمل الشيخ الكبير

تحول التمثال إلى حالته الأولى ،ولكنه في تلك اللحظة بدا أكثر حياة، وكأنه سيتحول إلى آدمي يحمل معنى آخر من معاني الحياة التي ربما يبحث عنها ، والتي ربما تكمن على الضفة الأخرى من الطريق المكتظ بالسيارات، وبقي السؤال في حالة عدم تنفس حتى أنه في حد ذاته استسلم لينطوي في حالته الأولية، وانضم إلى فئة أسئلة بلا إجابات.

هنا ترك نفسه إلى حالته بذلك السؤال ، وشرع في التقاط أنفاسه، بينما هبت رئتيه بالترحيب بالهواء القادم من أثر سرعة تلك السيارات التي تتهجم وتبدي الرفض التام للعبور ، وعلى صوت شياطين أفكاره انساب الهواء الغامض ينهر في مصداقية الانتظار، ومتى سينتهي ولماذا الانتظار؟ فبقدرتك أن تمر عبر تلك السيارات بإيماءات اعتراض على عدم التوقف المتفطرس منها ، حاولت الشياطين أن تستولي على أفكاره، ثم استطردته

ملائكة الحياة القابعة في جمجمته الصغيرة على الطريق المكتظ بالسيارات والهواء والأفكار والانتظار الذي سيدوم إلى أجل لا يعلمه ، فهو يعلم جيداً أن انتصار الشياطين ربما يكون بمثابة موت أو انتصار في رحلة المرور عبر تلك السيارات ، ولكن الموت نفسه يحتضر على أعتاب الانتظار المتلفع بأحبال السيارات وذلك التمثال المستلقي على نفس الضفة من نفس العالم البائس ، وتلك الشياطين التي تحاول التلاعب بالقدر في صورة الموت أو الانتصار، عازفين ترانيم الشهادة أو الانتصار ولكن لا للانتظار.

استطاعت إحدى قدماه أن تخطو خطوة للأمام لتترك ذلك النقش التعبيري على جدران الأرض التي حملته لفترة من الزمن، وستذكره يوماً أنه انتظر هنا لمسافات من الزمن كتلك المسافات التي قطعها عدواً بعيداً عن تلك التي ضاجعها في شتاء مضى ، واشتهرت فضيحته ولكنه كان يعلم أنها كانت أعظم لحظات سعادته ،و في ذلك الوقت لم ينتظر النقاش بين ملائكة أفكاره وشياطين أفعاله ولكنه امتثل بحدود اللاوعي لنداء شيطان نفسه الذي طالما أصر على موافقته في الليالي الباردة

ارتسمت تلك الابتسامة على شفتيه في وجه الضفة الأخرى بينما ظل التمثال صامتاً دون حراك، وأخذت ملامحه تصيح بغضب شديد في وجه السيارات التي تمر عنوة فمهمتها الوحيدة التي بدت له هي منعه تماماً من العبور ، وقفت قدمه تنتظر الأخرى أن تأتي فتساندها في تلك المعركة، ولكن دون حراك ظلت تلهو وحيدة في امتداد أرضي مقفر وقد أصابها الخوف ، خوف أكبر من ذلك الخوف عندما أخبروه بنهاية مؤانسته للشخص الذي تعرف عليه لمدة سبعة أيام وتعلم منه كيف يكون الحب وكيف تكمن الحياة في كلمة، وكيف تنقلب كل أبيات السعادة من وقع

دمعة دامية ، نعم ذكرته قدمه بالخوف في تلك المعركة التي لا تتحمل أي نوع من الخوف فإما الحياة أو لا شيء ، لا شيء غير الحياة فهو ليس كالآخرين ينتظر الموت في أي لحظة بل إن الموت هو من ينتظره على وقع ليس ببعيد كذلك القادم من بلاد العجائب منغمساً في ذكرياته التي تحمل أيام ما قبل الرحيل، وهنا ردد لنفسه تلك الكلمات التي خرجت بنوع من السهو ، فقد غافلت تلك الكلمات خوفه وخرجت دون أدنى وعي من جهازه الطنان الذي يسكن في الدار العليا لجسده الهزيل، ولم تمنعها حراس عقله من الهروب إلى آلية العالم المنبعث على ضفتين ، ضفة الصراع ما بين خوف الملائكة الشياطين والتمثال القابع بذلك النوع من الفن الفلكوري العميق ، وتلك الضفة الأخرى التي تحمل ربما أحلام ضائعة في طيات العالم المنسي المجهول ، ربما هناك تكمن الحياة دون تمثال دون شياطين دون هواجس أو مخاوف ، هناك ربما تقبع الحرية ولن تفر يوماً الأفكار الجنونية كما تفر كلماته التي صعدت إلى أعالي أذنيه محدثة :

" الخوف هو ذلك الكائن الذي يغتال الحرية في سكون "

وهنا استدرجته ملائكة أفكاره؛ لتعلن بقوة لم يعتد عليها ، وبصرخة ليست كتلك التي أطلقتها حبيبته الأولى عندما أخبرها بسفره بعيداً دونها ، فقد كانت تعلم جيداً أنه يوماً سيغادر هنا ، ولن يترك أي أثر سوى تلك الكلمات المتجسدة التي تخرج ممن اقتحموا حياته ، لن تسمع عنه سوى تلك الأحلام التي ينشدها البعض أو ربما يهذي بها في ليالي البرد على النهر ولن يتبقى منه سوى الوردة التي أهداها إليها حافي القدمين في عيد لم يجي ذكراه سواه، ولكنه شاركها في إحيائه في ذلك العام ربما لأنه افتقد أن يجي شيئاً ما من الموت ، وربما لأنه طالما انتظر من يشاركه أي شيء ، فقد كان

يتمنى دائماً ابتسامتها المعلقة في وهن على شرائح ملامحها السمراء، التي تبدو كوميض في ليل حالك السواد .

ابتسم مرة أخرى ولكن لملائكة أفكاره التي تمنعه بوهن من المجازفة ، فلكل مجازفة مخاطرها العظمى وهنا ردد هو ، دون أدنى شك أنه في تلك اللحظة هو من ردد في الصمت المندهش الذي استولى عليه قائلاً:

" يا لها من أعجوبة أن نتحدى الواقع بجنون ".

" يا لها من أعجوبة أن نتحدى الواقع بجنون " .

ومع كلمة الجنون تختفي السيارات وتقبع بعيداً عن آخر ممرات عيونه ، وهنا تأخذ قدميه تلك الجرعة الزائدة من التحرر وتطلق العنان لرياح أنفاسه الصاعدة في عبق الهواء الذي قتله الانتظار، واختنق من حدة ألفاظ عيون المنتظرين ، ما أدهشه حقاً سرعة تلك الأقدام التي تنسج بسرعة أخرى نوعاً من الغبار المتصاعد من قوة وقع الخطوات المتضاربة ، ولكن ليست متضاربة بنفس طريقته في المضاربة في حانات السكارى للفوز بإحدى العاريات التي تستعرض بمقت مزاياها الأنثوية أو مضاربته من أجل الفوز بمال لا يكفي لابتياع إحدى أحلامه الفقيرة الخرساء .

ذهبت عيونه بعيداً ليرى السيارات مرة أخرى تأتي بسرعة ليست كالأولى ، ولكنها تبدو أشد غضباً ، فهناك من أفقدها وعيها وهرع على طرقاتها ليزول بها الهزيمة، ولتكن سجلاً أسود في حياتها العملية ولن تمكنها ربما من الاستمرار في تلك الوظيفة التي لا تقتضي سوى المنع ، التفت إلى الناحية الأخرى ليس تجاهلاً للسيارات ولكن ليطمئن قلبه إنه إن تم منعه سيجد من يؤانسه الانتظار، ولن يمانع إن كان أحد التماثيل ، ولكن يبدو أن التمثال نفسه قد عادت إليه الحياة كاملة في دأب تام ودون توقف ،

وقد سبقه ببضع خطوات قد تمكنه من المرور إلى الضفة الأخرى : صاحت الخطوات في قدميه عله يتحرك بسرعة أكثر، ولكنه لا يعلم لمَ تلك اللامبالاة في العبور بالرغم من الانتظار الطويل؟! ، فهو يتباطأ عن عمد ، ربما طول الانتظار هو من سبب تلك اللامبالاة في العدو إلى هناك ، ربما السكون الغامض خلف الضفة الأخرى هو ما يمنعه ، ربما اكتفى بالانتظار وكل ما عليه هو أن يمر في فتور حتى لا تبدو أنها مسألة شخصية مع نفسه ولتبدو حادثة موته هي بالفعل ليست فعلته .

امتزج ذلك النسيم العابر مع خصلات شعره التي أصابها الندى الذي لا يعرف له سبب ، فإنه الليل بجموده وتلك الكشافات الخافتة القادمة من بعيد مع غضب السيارات التي تبيح لنفسها رؤية ضحاياها على الطرق الممنوعة المرور ، وهناك مع الندى والنسيم عاد مع شتاء مر منذ زمن، هناك تستلقي أحد شخصياته خلف غطاء زجاجي لإحدى الأماكن الحميمة النصف نظيفة والنصف متسخة والتي طالما أخذته من وحدته المميتة وتعلم منها أشياء قد لا يذكرها في يومياته البالية التي طالما يحملها في حقيبته التي بدت كتوأمه أينما ذهب ، توأمه الروحي الذي ربما يذكره بأشياء ربما هو لا يتذكرها بالفعل ، وغالباً ما يستعين بها لاستعادة جزء مفقود من ذكرى مضت كتلك مع صاحبة العيون الزرقاء التي قابلها في إحدى المدن التي مر بها ، ولكنه يتذكر جيداً الآن كيف ابتسمت له كصباح أصيل جاء من بعد ليل مرير جاف تملأه الصيفية بعرقها وجفافها المبهم الغريب ، تذكر تلك الكلمات التي تحملها مع حلية الصباح ونورها الفواح عند رؤيتها الطيور مفردة آتية من اللا حدود، وتذكر عينيها التي تسأل دوماً ما اسم تلك الطيور ؟، ولكنه دائما ما كان يعاود الابتسامة لجهله التام بها ، ولكنها كانت تكتفي بابتسامته كل صباح كإجابة مقنعة وربما إلحاحها يومياً

بالسؤال المجهول الإجابة هي مدى حبها لتلك الابتسامة المبهمة التعبير والنقوش .

أغمض عينيه ليعاود رسم تلك السماء من جديد تختصن تلك الطيور القديمة محاولاً أيضاً رسمها في عيونها الزرقاء الجميلة ، راوده الشعور بأن الطريق قد افترق وأنها مجرد لحظات وسينتهي كل شيء عبر وضوح أحد الأضواء على الطريق ، وقتها ستسقط حقيبته وستسقط معها كل الذكريات، سيسقط الماضي في خشوع لتهتز أعضائه متهاوية على الأرض بعد أن يعلو لمسافات بعيدة نحو السماء، بينما سيبدو فاه مفتوحاً للمارين وكأنها الصرخة الأخيرة ، ولكن هي له ربما الابتسامة الأخيرة وسيسكن الحاضر في خشوع ، ولن يعلم المستقبل عنه سوى ما ستقصه الجثث المادية المتبقية على الطريق من خلال الكلمات الممتزجة ببعض الحسرات والذكريات وربما الدموع ، ومع الدموع هبت تلك الرائحة عبر أنفه الصغير لتسكنه عندما تذكر وداعه لأمه كطفل قادم إلى الحياة ، يودع رحم أمه بالبكاء البريء الغامض لولوجه إلى تلك الحياة، تمنى لو استطاع أن ينتظر داخل رحم ، وتمنى لو لم يمر بذلك الطريق أبداً ، ولكنه تذكر كلماتها الحالمة عن الحياة ، كانت تتحدث عن الحياة بلا معادلات فيزيائية ، أو طرق هرمية ولا قوانين معقدة ، كانت تحدثه دائماً بأن الحياة حين الوداع هي وداع العشاق لبعضهم البعض وتبقى الذكريات باسمه بالرغم من الدموع ، والآلام التي تعاود الاشتباك كل ليلة بالعقل الوحيد والقلب المتكمش في حجرة مظلمة آيلة إلى السقوط على الرؤوس . بلا وعى شعر باقتراب بعض الألغاز إلى حلقة تأتي على مهل خبيث ؛ لتستدرجه وتحاول الهرب إلى الهواء المختلط بأنفاسه المعقدة التي تبدو كنهاية عدو طويل من مكان بعيد ، خرجت الكلمات تحدثه في سرعة وسكون :

" أليس الوقت مبكراً على الذهاب ؟؟! فكم من طريق سلكنا عبر محطات بدت متوقفة إلى حد الموت ، الحياة تدب في قدميك ، الحياة تدب في قدميك ، الحياة تدب في قدميك " .

بدت العبارة الواحدة ألف صرخة وألف قوة دفع كرياح عاتية آتية من محيط غاضب لتدفع أحد السفن إما للغرق أو السير قدماً إلى الأمام ، ترك الخوف قدميه مرتعداً يئن على الطريق في فزع مبهم ، بينما تحولت قدميه لأرجوحة صغيرة تتراقص على الطريق كأرجوحته الصغيرة هناك وسط الورود البرية في المدينة التي لا يسكنها سوى حامل الخطابات الذي دائماً ما تأتي له خطابات لأناس لا يسكنون المدينة ، ويتعمد قراءتها دوماً في أوقات وحدته الدائمة ، شعر وكأن الحياة تدب في جمجمته الصغيرة بينما شعر بتلك النسمة تشرق حد أبواب صدره ويسمع بصدى تام وقع خطواته الصغيرة المتهالكة منذ لحظات مرت ثقيلة ، ومرت خلال خطواته تلك الكلمات :

" عندما تدب الحياة يموت الموت بحسرته "

وجد نفسه على محك النهاية من الطريق تتهافت عليه تلك المشاهد ، ذلك الرجل الكبير ذو الملامح الزمنية الثقيلة ، ولكنها تبدو في قمة تألقها السماوي كنجمة واحدة تتوسط السماء وتلك المرأة التي أخبرته عن ملائكة البحر والسماء والتي بدت كملاك هي أيضا ، وتذكر دمائه التي لطخت دون علمه جسده عندما ضاجع أحد الفتيات التي أخبرته بأنها ليست مرتها الأولى ، ولكنه تساءل من أين ذلك الدم؟! ، مرت اللحظات والمشاهد تتلاقى في كنفه وتلك المباراة الثقيلة بين ملائكة أفكاره والشياطين والذكريات ، وتبقى له الاستمرار أو الاستسلام للانتظار ما بين الحياة والموت .

السيارات قادمة ولن تتوقف لصرخة أو لبكاء ، الحياة تدب في قدميه ، والشياطين قد هوت من بئره ، وعادت الذكريات عليلة مع سخونة الهواء المنبعث من رئتيه الملتحمتان بضراوة الطريق ، وهنا نظر إلى التمثال الذي تحول كاملاً إلى روح لم يعهدها على الضفة القديمة وبقياس عيونه استطاع أن يحصى خطواته المتبقية ، هل ستتجمد خطواته مرة أخرى ويكون التجمد الأخير أم ستكتمل الخطوات ويغدو ليتحول هو الآخر من تمثال إلى آلة من الحياة ، سيقف هنا على الطريق منتظراً الإجابة ما بين الحياة والموت

٦. قعدة قهوة

لكم كانت تلك الجلسات تأخذنا إلى مواضيع لم نتوقعها
ولكن هنا قد تنتهي الجلسة بشيء أخر!!

ذلك المقهى الذي لا يخلو من محمد إبراهيم، ويوسف الرفاعي، وعبد القادر الحقاني وتلك الطاولة التي تبدو ليست كما هي في غيابهم فكم اعتدقم ، فكم أشتاق لمحادثاتهم اليومية عن أمور الدنيا والدين، والمعارك التي تنشب من آن لأخر على فكرة ما ، عن النظام والحكم وفلسفةالعرب والعالم والجنس والحب والزواج والبنات وموضوعات لا تنتهي أبداً .. ولن تنتهي

" أهلاً برفاق السوء "

ضحكات عالية تهتز لها الجدران وتخطف الأبصار

" أهلاً بالشيطان "

نظر لي محمد إبراهيم بتروي كعادته ثم قال بفتور:

" أتيت متأخراً يا ترى ما الأمر ؟ "

" لا شيء بالمهم "

رمقني عبد القادر الحقاني بابتسامة بينما صاح يوسف الرفاعي مداعباً مربتاً على كتفي قائلاً :

" إنه الحب أيها السادة "

ابتسمتُ ابتسامة عريضة لا تخلو من الشجن ولم أنبث ببنت شفة ،ثم عاد محمد إبراهيم بصرامته المعهودة قائلاً :

" لنكمل حديثنا "

فالتزمت السكوت لأستمع ربما أشاركهم بالرأي أو بالصمت

فصاح عبد القادر الحقاني قائلاً :

" أموال الدولة تنهب يوماً بعد يوم ورجال الحكومة تكذب دائماً ولا ثقة في كرسي الحكم "

فنهره محمد إبراهيم بنظرة قوية صلبة تأمره بأن يخفض من صوته ولكنه لم يكترث وأردف قائلاً:

" لا يهمني أحد بعد الآن ، فنحن هنا منذ سبعة سنوات ملقون على أرصفة المقاهي ونتبادل تلك الأحاديث التي لا تعود بفائدة ، يكفينا الصمت ، يكفينا العمر المهدر ويكفينا الكرامة التي بيعت في المزادات الرخيصة وعلى عينك يا تاجر " .

أومأ يوسف الرفاعي برأسه موافقاً في أسى ، وبصوت عاقل قال :

" حتى رغيف الخبز صار مصنوعاً من المسامير والزجاج وأتربة الشوارع ، وغير ذلك الزحام الشديد كالجائعين المشردين ، وعليك بخوض المعارك التي قد تصل لمعارك دموية لتحصل على غنيمتك، وإن لم يعجبك عليك بتقديم استقالتك من عالم الحياة ".

أشار محمد إبراهيم بيده إلى أحد العاملين بالمقهى مطبقاً شفتيه على بعضهما ثم قال:

" انظروا لذلك العامل هناك، إنه خريج كلية تجارة قسم إدارة أعمال وماذا يعمل؟! ، عامل في مقهى حقير " .

نظرتُ إلي العامل وهو يتنقل في خفة بجاوب الزبائن، بينما تلك اللفافة التي تحيط جسده بها أحد الجيوب التي يحتفظ بها بحساب الزبائن، وذلك

القلم خلف أذنه اليمنى، بينما اتضحت عليه ملامح الإعياء الشديد ما بين الخدمة وحساب الزبائن

ثم صمت الجميع، ونظروا إلى محمد إبراهيم ملياً ، وفي تساؤل قال يوسف الرفاعي :

" هل تتذكرون عمر الباز ؟ "

أومأ الجميع برأسهم بالإيجاب بينما قال عبد القادر الحقاني:

" نعم ومن يستطيع نسيانه ؟! "

وضحت عليهم ملامح الحزن والذكريات المريرة ثم قال محمد إبراهيم :

" هذا الشاب له من المواقف ما تضعه دائماً كبطل، كدوره في انتفاضة فلسطين وإضرابات العمال في مناطق كثيرة، وقضيته التي تبناها ضد الفساد الحكومي ، وحادثة طنطا أيضاً ويوم الإضراب المبهر بها " .

" نعم، يا ترى أين هو الآن ؟ "

قلتها في سرعة ولهفة فلا أستطيع انتظار الإجابة

فأجابني محمد إبراهيم بصوت غير مسموع :

" إنه الآن يعمل بإحدى جرائد المعارضة كصحفي وقد تم اعتقاله أكثر من مرة ولكنه لن يتنازل عن قضيته، فرحمة الله عليه " .

ضحك عبد القادر الحقاني بصوت صخب مائلاً إلى الوراء وقال :

" نعم رحمة الله عليه ، هكذا نحن إما الصمت أو الثورة والسجون " .

ومع وقع كلمة السجون على مسامعي تذكرت اشتراكي في انتفاضة فلسطين، وما قاسيناه عند رحيل زملائنا بالإسكندرية، وعندما تصارعنا

لمعرفة الأسباب قالت الحكومة بكل ثقة وبلامبالاة تُذكر إنها حادثة عارضة وبالفعل لا نقصد البطش بصناع المستقبل ، آه منك يا بلد .

وهنا قاطع أفكاري محمد إبراهيم بنظرته المقتضبة حتى تقابلا حاجباه الكثيفان قائلاً:

" نحن يا أبناء الفقر والجلد والمعاناة ولدنا من أجل الكفاح ، أما غيرنا ممن فرشت لهم الأرض بالورود يكادوا أن يشمئزوا من تلك الأحاديث الفقيرة البلهاء التي تهدد عرشهم ".

حملت عينيّ بغضبهما ناحيته وبنبرة غاضبة قلت:

" أظن أنني من أبناء تلك البلد يا أستاذ محمد ومصلحتها تهمني أولاً وأخيراً" .

ثم بمحاولة ساخرة منه لتهدئة الأجواء قال:

" أنا لم أقصدك يا ابن الأكابر، ولكن أقصد هؤلاء المتسكعون على الطرقات".

فرفعت حاجبي الأيمن، بينما امتعضت شفتاي قائلاً:

" ومن هؤلاء ؟ "

فرمقني بابتسامة باهتة و قال:

" هؤلاء من يتسكعون على الطرقات من أولاد الأغنياء ، ويدهسون العالم ولا يأبهون لأي قانون فيدهم هي العليا فوق كل قانون ، فهناك الأب النافذ في عمق السلطة وهوس جمع الأموال ".

ثم قال يوسف الرفاعي في حزن :

" أتذكر تلك الحادثة التي ذهب ضحيتها اثنين من الفتيات نتيجة دهسهما على الطريق والتي أُتهم فيها ذلك الشاب ابن الحسيني رجل الأعمال وقيدت القضية ضد مجهول وكان شيئًا لم يكن ".

تلاقت أعيننا في صمت أشبه بالغضب لا يخلو من الحزن، بينما أشعلت سيجارة واستمر محمد إبراهيم في شرب النارجيلة في غضب مريب .

ناديتُ على العامل بالمقهى وطلبت فنجان قهوة فأشعر بتقوس عينيّ وميلهما إلى النعاس ، بينما طلب عبد القادر الحفاني كوباً من الشاي (الكشري)، بينما صاح محمد إبراهيم بأن يمده بقطع من النار ليذيب غضبه في أحشاء نارجيلته .

رمقني أحد الأصدقاء في نفس الوقت الذي رمقته فيه، فأنا لم ألتقي به منذ تسعة أشهر ،فإنه يعمل بالإمارات العربية المتحدة، ويبدو أنه قد عاد من السفر ثم توجهت ناحيته في سرعة وابتسامة مرحبة مهللاً قائلاً :

" يا أهلاً وسهلاً بالرحالة "

بينما سمعت همس يوسف الرفاعي إلى البقية قائلاً :

أنه يعمل ببلاد الخليج ، ولكنه عاد بعد الكارثة الاقتصادية وما تبعها من أزمات مالية ، كما أني سمعت عن عودة ما يقرب من مائة ألف عامل مصري "

فسمعت ضحكة لا تخلو من الشماتة من جوف محمد إبراهيم قائلاً:

" نحيا المقاهي وأهلاً بالعائدين "

بينما صفيت ذهني إلى أحمد بابتسامة قائلاً :

" أهلا بك في أرض النيل مرة أخرى يا صديقي "

و بابتسامة يملأها القلق قال :

" أهلاً بك يا يحيى كيف حالك ؟ وكيف حال الأهل ؟ "

" الجميع بخير والحمد لله، أخبرني أنت كيف أحوالك ؟ وكم ستمكث هنا حتى تعود مرة أخرى إلى الخارج ؟ "

" إني بخير أحمد الله على كل حال ، ولكني لن أعود مرة أخرى "

فجحظت عينيّ كأنني لا أعلم، و بأداء تمثيلي قلت :

" لماذا ؟ ماذا حدث ؟ "

" لا شيء ، أنت تعلم حال الاقتصاد في جميع أنحاء العالم وما أصيب به الخليج خاصة من كوارث اقتصادية أدت إلى إفلاس العديد من الشركات، ومنها قامت الشركات بترحيل جميع موظفيها ، بينما الذين لم تصبهم الكارثة بشكل مباشر قاموا بالاستغناء عن الموظفين الذين لا حاجة لهم في حد قولهم ؛ للحد من التكاليف المهدرة بلا عائد نافع "

نظرت إليه بحزن شديد، و في نبرة مواسية قلت له :

" الله كريم ، لا تحزن "

نظر لي بابتسامة محاولاً تغيير مجرى الحوار قائلاً:

" لا عليك، الله لا ينسى عباده "

تنهد ثم أردف قال :

" وفي السماء رزقكم وما توعدون "

و بابتسامة صافية قلت:

" صدق الكريم الرحيم "

ثم ألحيت عليه بأن يشاركنا ، ولكنه رفض بحجة أنه بصحبة بعض الأصدقاء، ولكنه وعدني باللقاء قريباً ثم عدت إلى الكرسي، بينما وجدت قهوتي أوشكت على البرودة فاحتسيتها في فم مرير شارداً بينما تصدع في مسامعي أصوات الجالسين من حولي وحواراتهم عن مجريات الحياة ، ومشاكلهم اليومية وهم القوت اليومي ، فاعتراني نوبة من الحزن الممتلئة بصيحة من الغضب فانكببت على قهوتي مرة أخرى أرتشف ما تبقى من مرارة .

فسمعت صوت يوسف الرفاعي محدثاً عبد القادر الحقاني قائلاً:

" أتعلم أن حسن حامد سيتزوج الأسبوع القادم "

فضحك عبد القادر الحقاني صائحاً بسخرية وقال :

" وأنت متى ستتزوج ؟! "

فرد عليه محمد إبراهيم بسخرية أقوى قائلاً :

" عندما تتزوج أيها الأبله "

فضحكنا جميعاً في صفو لحظي ، ثم عاد محمد إبراهيم قائلاً:

" لكي تتزوج ماذا يلزمك ؟! "

فتجشأ عبد القادر الحقاني واكتسب نبرة غليظة كممثل مسرحي سيء قائلاً :

" الأمواااال ، كل ما يلزمك الأمواااال "

فضحكت بدوري قائلاً :

" ليس كل شيء المال يا صديقي "

فرمقني الجميع بنظرة عنيفة كأنني ارتكبت جرماً صائحين :

" بالمال نشتري الحب ونعلن مراسم الزواج "

فنظرت إلى الجميع صائحاً :

" نعم لذلك انتشر الطلاق والفساد الأسري "

فرمقني محمد إبراهيم بنظرة غليظة وبسخرية قال :

" أفدتنا يا شيخ "

لم أكترث له ثم أردفت قائلاً :

" ألا تسمعون عن الحب الذي يُشترى بالمال ، زواج الصالونات في حد رأيي مشروع فاشل " .

فأشار يوسف الرفاعي بيده كأنه يودع أحدهم ذات اليمين وذات اليسار معارضاً ثم قال:

" بالله عليك كفانا فلسفة "

نظرت إليه في معارضة وقلت:

" إذا لماذا ازداد الطلاق في مجتمعنا، حدثني أنت عن الأسباب ؟ "

فقال عبد القادر الحقاني :

" ما سمعته عن ارتفاع معدل الطلاق أنه بسبب العجز الجنسي وما يتعلق به "

فقلت بسخرية :

" هراء "

فصاح محمد إبراهيم قائلاً:

" إذا حدثنا أنت "

حاولت التقاط أنفاسي الضائعة في محور الغضب ثم قلت :

" إنه عدم التفاهم يا صديقي هو العامل الأول على فشل الزواج ، الفجوة بين رجل وامرأة لا يجمعهما سوى جلسة أو جلستين قبل الزواج ، وضغط الأهل بأنه الحل المناسب والعريس المرتقب، وأنه أفضل المتقدمين "

فصاح يوسف الرفاعي بغضب قائلاً :

" بالله عليك لا تقحمنا في حديث عقيم . قل لي أنت كيف تزوج أبائنا وأمهاتنا ؟! "

فنظرت إليه بينما امتعضت شفتاي ، فلا جدوى من النقاش ثم قلت :

" إنه اختلاف الزمن والعادات والتقاليد والعولمة والإنترنت "

فضحك محمد إبراهيم ثم اسودت عيناه ثم قال :

" نعم العالم الإلكتروني وتواصل الأفكار "

فقال عبد القادر الحقاني:

" كل يوم أنا في حب امرأة أخرى "

فضحكنا جميعا ثم قلت بنبرة صلبة :

" إن العالم الإلكتروني كارثة بكل المقاييس "

فقال يوسف الرفاعي :

" لكن هو كارثة فقط لمن يسيء استخدامه "

فأومأت برأسي موافقاً، بينما هز الجميع رؤوسهم بالموافقة أيضاً ثم أردف قائلاً :

" لولا العالم الإلكتروني لما وصلت إلينا العديد من المعلومات والتعرف على ثقافات وأفكار العوالم الأخرى حتى أعدائنا ، فإنه يجعلنا في تواصل دائم مع العالم " .

أومأت برأسي موافقاً ثم قلت :

" نعم ، ومن خلاله تستطيع الحصول على عمل "

فقال محمد إبراهيم :

" أي عمل ، فقد قمت بالاتصال بجميع شركات العالم "

ثم ضحك وأردف قائلاً:

" ولم يأتني جواب من أحد "

فنظر يوسف الرفاعي وقال بسخرية :

" ربما أنك مفصول عن العالم الإلكتروني ، تحقق من وضع حاسوبك "

فضحكنا جميعاً ، بينما رجعت للوراء جالسا على القدمين الخلفيين للكرسي متأرجحا ثم قلت :

" الوساطة هي كل شيء في عالمنا الآن "

وبحزن قال محمد إبراهيم :

" ومن لا يملك وساطة لا عمل له ولا حياة "

فقال عبد القادر الحقاني بتفاؤل :

" نحن هنا للترويح والتنفيس لا للحزن والتهويل "

فقال محمد إبراهيم :

" وماذا أنا بفاعل فأنا أقوم بالتنفيس بالفعل "

فقال يوسف الرفاعي :

" بل أنت تتساقط كورقات زارها الخريف "

فنظرت إليه مربتاً على كتفه قائلاً :

" ستجد فرصتك ، تمسك بالصبر " .

فنظر لي ورمقني بابتسامة حزينة ثم قال :

" أي صبر يا يحيى وأنا على مداخل الثلاثينات، متى أتزوج ومتى أنجب ومتى ....ومتى .... ؟؟؟ " .

نظرت إليه بحزن و بنظرة مواسية قلت:

" فرج الله قريب "

فقال وهو يهز رأسه في أسى واقتناع :

" ونعم بالله "

ثم أشعلت سيجارة بينما شرب الشاي البارد كعادته قائلاً :

" تباً لتلك الحكومة وتباً للقوانين وتباً لتلك الحياة " .

فصمت الجميع ثم نظر لي محمد إبراهيم في تهجم وقال:

" أتعلم يا يوسف ما مشكلتنا ؟ "

فنظر إليه يوسف بعيون متسائلة دون أن ينبس ببنت شفة ثم قال إبراهيم:

" الصمت "

نظرنا إليه بعيون حائرة ثم قلت :

" أي صمت تقصد ؟!"

" الشعب المصري هو شعب طيب بدوره ويخاف من المواجهة ويقبل بكل القوانين ولا يعارض السلطات ولا يناقش القواعد ودائماً في حالة سلبية، ولا يتحرك دائماً إلا بعد وقوع الكوارث ".

ثم صمت للحظات وأردف بعيون صارخة يعتريها الغضب قائلا:

" لنصرخ ضد الصمت لنصرخ ضد الديكتاتورية لنصرخ ضد الحصار السياسي لنصرخ ضد الوساطة ، ولنصرخ ضد مجالس الصالونات ولنصرخ ضد القوانين التي تقتلنا مائة ألف مرة في اللحظة الواحدة ، فما أصعب أن تشعر بالموت وأنت حي ترزق ، لنصرخ أيها الشباب "

صمت الجميع بينما نادينا العامل متوسلين أن يمدنا بكوب من الشاي وقهوة مريرة .

٧. لكم أشعر بالبرد

عندما تشعر بالبرد، أنفخ بقوة في يديك ولكن صدقني
لن تجد ردًا سوى انتهاء أنفاسك

(١)

إنه السحاب الذي يلامس جبينه المائل إلى سمرة النيل ، وعيناه المتطلعان بشغف إلى ما خلف ستائر السماء الباثقة خلف وديان المجهول ، يأخذ نفساً عميقاً ، بينما تتهافت على رأسه الأفكار في شكل قوس قزح ، كذلك الباحث عن شيء ولكنه يملى نفسه ويُمنيها بالأمل المنبثق مع ذلك البياض الذي غطى عينيه ، نعم السحاب يكاد يشبه القطن في بلده الجميل ، كم هي رائعة أيام الصبا بما تحملها من أمنيات ونزوات معلقة على جدوله اليومي القديم ، غابت عيناه وهمس باشتياق جارف من النافذة التي تطل على السماء ..

" كم اشتقت إليك يا أم الدنيا .. أخيراً سأعود "

تنهد بنوع من الحنين ثم ابتسم ابتسامة ، كادت حدود فمه أن تلامس أذنيه ثم همس كطفل صغير :

" نعم مصر ، وحبيبتي التي اشتقت إليها "

ثم في بطء تلاشت الابتسامة ، لتدور أحداث حياته قبل السفر إلى أمريكا التي قضى بها عامين تقريباً ، وهناك على مرمى ذكرياته الغارقة في السماء المفعمة بالثلج الأبيض رآها تتراقص من حوله في ليالي أعياد الميلاد ، رأى هناك ابتسامته وضحكاتها ترج أرجاء السماء وتقتلع أعمدتها وهو يركض إليها ، بينما حبه يتألق في الأفق حد عينيه حتى شعر بيديه تحاول أن

تلامس تلك الذكريات القديمة من حدود نافذته الصغيرة من تلك الطائرة التي تفصله عن نشوة اللعب بذكرياته في جوف السماء .

ابتسم في رضا كامل عندما أعلن قائد الطائرة أن كل المسافات انتهت ، وكل الإرهاق والتعب قد ذهب الآن ، تستطيعون الآن أن تقذفوا كل الأيام البالية بقوة من شرفات عقولكم وأجسادكم المتهاوية في ذكرى الحنين إلى الماضي ، وكل ما عليكم ان تأخذوا نفساً عميقاً من أجل الهبوط إلى أرض السلام والذكريات الجميلة .

كادت ابتسامته أن تقطع الهواء الصامت في الطائرة ؛ لتغدو لحناً عميقاً بفرحة الإنتصار ، ثم همس لنفسه قائلاً :

" نعم إنها دقائق معدودة وسأتراقص على أرض الوطن كعهدي القديم "

" حمد لله على السلامة "

ثم في فرحة تملأ ملامحه

" الله يسلمك "

أومأ برأسه ناظراً إلى جواز المرور

" تستطيع الدخول وأهلاً بك مرة أخرى في وطنك الحبيب".

يبدو أن كل الكلمات لا تستطيع أن تعبر عن مدى سعادته ، أومأ برأسه بالرضا واحتفظ بابتسامة خفيفة ، فهناك الكثيرين ممن لهم الحق في كل الابتسامات المنتظرة ،والتي يخلفها قلبه بالحنين ، ثم مالت عينيه في لهفة غريزية باحثة عن شيء ما ، إنها الحبيبة فإن عيناه تفضحه تماماً وبينما تمر عيناه بين المنتظرين والمغادرين ، رأى عيوناً تملأ الكؤوس دموعاً من وقع رحيل أحدهم وتلك الوجوه الشاحبة تماماً استعداداً لرحيل ما إلى بلد ربما

بعيد جداً أو بعيد فقط فلا يهم المهم أنه ليس هنا ، ثم ذهب بأعينه ليرى ذلك الراكض عدواً كأنه في سباق (الماريسون) الشهير وعليه الفوز حتماً ، يركض للقاء الأحبة المنهمكين في طيات الانتظار ، مازالت عيناه تتفرس في عمق ، وتضاءلت عيناه في الاتساع كأنما أشرف على البكاء وها هي أخيرا هناك ، نعم هي !! .

(٢)

وهناك على مرمى بصره إذ هي تقف هناك ، منتظرة بشغف وحنين، تتلفت وتتفرس في وجوه القادمين محدثة نفسها :

" أهذا حبيبي ؟ لا ليس هو "

هالة من الحزن ومن الأرق تعتريها

" أهذا هو ؟ لا ليس هو "

تتلفت مرة أخرى في سرعة وكدر، همست بنبرة لا تستطيع الانتظار وتتوق للقاء .

" أين أنت يا أحمد ؟ أين أنت ؟! "

ثم فاجأها وجهه الذي يملأه الحنين ، بينما انصبت في عينيه دمعات لا يعرف من أين أتت ولكنها وصلت دون علم مسبق ، همس في حنين واشتياق ونبرة تملأها العودة إلى الذكريات قائلاً :

" غادة ، أنا هنا أخيراً " .

نظرت إليه وقد اكتظت عيناها بالدموع وابتسامة ترتجف على شفتاها لتصدق أنه بالفعل هنا أمامها بعينيه الواسعتين الذي طالما يخفيهما خلف نظارته الشمسية ، تلك العادة التي دائماً ما تثيرها لإخفاء عينيه خلف ذلك الستار الزجاجي الأسود ، فكم تتوق لرؤية عينيه ، ثم مدت يديها لينتشلها

من لحظة شرودها الأسير في مرمى روحها الهاوية لتصدق أنه بالفعل هنا قائلة بصوت متقطع :

" أحمد، حمداً لله على سلامتك ، حمداً لله على سلامتك "

أبى أن يمد يده لمصافحتها، ولكنه فتح ذراعيه لترتمي فيهما ، دون أن تدري اختلطت دقاتها المتسارعة بدقاته التي تمر كقاطرة بحارية تأخرت في الطريق وعليها الإسراع ، وهناك استكانت القلوب وهدأت الدقات بينما تسارعت الأيدي في غلق كل الفجوات الفاصلة بينهما، لم تتحمل الأعين اختناقاً فقرعت الأبواب، وهرعت هاربة ، لتبلل كتفيها وصدره وبعض خصلات من شعرها .

قالت باهتمام مبالغ حيث تشابكت الأصابع في عناق حميم بينما تجرى القدمين سيراً تجاه السيارة التي تنتظره منذ عامين لتأخذه إلى منزله كما أرسلته قبلاً إلى الغربة .

" كيف حالك يا أحمد ؟ "

همس بابتسامة عريضة متفرساً عينيها :

" إنني بخير يا غادة، الآن في حضن وطني وحضن حبيبتي "

أصابها نوع من الخجل الأنثوي المميز ونظرت للحظة إلى الأرض، ثم عادت إلى عينيه مسترقة النظر قائلة :

" وأنا فقط بخير الآن يا أحمد "

دخلا إلى السيارة جنباً إلى جنب بينما ساد صمت متشوق لما يدور بينهما في سكون عميق ، تسير السيارات على طرقات مصر القديمة، بينما

أحمد يحتضن كل مبنى وكل شارع في عينيّ غادة التي أضاءت منذ اللحظة الأولى لوصوله وهمس لنفسه في ارتياح :

" كم هو جميل أن ترى الوطن كما يجب أن يكون "

(٣)

لاح حد نظره بيته القديم وأحلامه الطفولية تتسارع حد عينيه ، ترجل جسده في ارتياح كامل من السيارة ، ثم بدون وعي نظر يميناً ليرى نفسه يلهو مع أصدقاء الجامعة هناك وتتعالى الضحكات لتملأ البهجة المنازل المطلة على شارع الذكريات ، هبت تنهيدة صماء من بين رئتيه وكأنه يقذف كل أيام الفراق ، بينما رفع رأسه إلى السماء وتمتم بكلمات سمعها قلبه في فرحة عارمة ، أنه يشكر ربه بهمسات لا يدري بها غيره، فكم من مرة تصور ذلك المشهد منذ اليوم الأول لمغادرته أرض الوطن . ثم عاد ناظراً إلى غادة التي لم ترتجل من السيارة بعد بابتسامة طفولية وملامح لم تغيرها سنتان من الغربة .

ثم قال والابتسامة ما زالت تعلو جبهته وتتعلق بلهفة على شفتيه :

" سأذهب الآن يا غادة وسأكون على اتصال بك "

ثم بطريقة غزلية تملأها روح الشباب همس لها قائلاً :

" أريد أيضاً التحدث إلى والدك "

احمر وجهها خجلاً ولكن ذلك لم يدارى فرحتها التي انبثقت كموج جارف من بحر أصابه السكون ثم قالت :

" فقط خذ راحتك واسترح من عناء السفر "

علته ابتسامة أخرى وبسرعة البرق أجاب قائلاً :

" لن أستريح حتى يكمل حبنا ، وتتم بإذن الله خطبتنا "

ثم أطبق يديه على يديها في حنان غائب منذ عهد قديم وكأنه يعيد الذكريات القديمة التي لم تفارقها في لحظة وداع وقال بعينين تكره الوداع :

" في أمان الله يا غادة "

قالت بنوع من النفور المختفي وعدم الرغبة في الذهاب :

" في أمان الله يا أحمد "

(٤)

يهلل البيت في شكل غريب ، وكأن الفرحة لم تدخل عبر أبوابه منذ قرن بينما تحتضنه كل الأركان في سكون، وتعلو دقات القلوب في جوفه ما بين أمه وأبيه وأخته لياء ، ثم أمه بملاطفة تملأها الأمومة والدفء :

" لماذا لم تخبرنا أيها الشقي بأنك عائد إلينا اليوم ؟ "

ثم بابتسامة لا تفارق ملامح أمه التي اشتاق لها شوقاً جارفاً قال :

" أردت أن أجعلها مفاجأة "

ثم قال أبيه بنوع من المزاح :

" ربما أراد أن يرى وجهاً أخر بعد سنوات الجفاء "

ضحك عالياً ثم قال بنبرة يملأها عدم القدرة على الكذب :

" بالله عليك يا أبي فأنت تعلم جيداً أنني أحب المفاجآت "

ثم اقتربت أخته وارتمت على قدميه جالسة ثم نظرت إليه ضاحكة وكأنها تعلم ما حدث فعلاً قائلة :

" نعم ، تحب المفاجآت أعلم ذلك جيداً "

ضحك بصوت عالي ثم قال بنوع من الممازحة

" يا قوم ، المهم أنني هنا بين أحضانكم "

مر الوقت بين الملاطفة والضحكات ومعاودة الذكريات القديمة ،وعيناه المتفرستان في ملامح من غاب عنهم ليحدد ماذا فعلت بهم أيام غيابه ،ولكنه أخيراً هنا بين سماء البيت وأرض الوطن .

" قم واسترح يا أحمد ، فغرفتك كما تركتها آخر مرة لم يدخلها أحد فلم أتحمل فكرة دخولها في غيابك " هكذا حدثته أمه في حنان لا مثيل له .

فتح باب غرفته في سكون وحذر شديدين ، صوت الباب يصهل فرحاً فأخيراً قد تم الإفراج عنه وقد عاد إليه صاحبه الغائب ، دخل بخطوات وهنة تملأها الفضول ، بينما مع كل خطوة ثارت ألف ذكرى ما بين الضحكات والدموع ، ما بين تلك الشرفة التي لم يفارقها من أجل بنت الجيران وذلك المنبه بجوار سريره الذي يحمل ذكريات مزعجة ومضحكة في نفس الوقت ، وذلك الدولاب الذي طالما اختبأ به حتى لا ينال العقاب خطأ اقترفه ، وذلك السرير الذي حمل كل لحظات فرحه وضيقه وحزنه ،السرير الذي طالما قرأ وهو نائم عليه الخطابات وتحدث عبر الهاتف وهو يعتليه إلى غادة ، وهناك في الأركان تقبع ألف ذكرى يستحيل على المرء نسيانها وإن قسى الزمان ، فكيف له أن ينسى ما لا يُنسى .

(٥)

" أنت تعلمين جيداً أن أحمد قد غاب عنك لسنتين كاملتين وربما تغير "

نظرت إليها في غضب وعدم تصديق ثم قالت :

" أنت تعلمين جيداً أن أحمد يحبني مهما طالت بيننا المسافات وقد حدثني أيضاً أنه قادم لملاقاة أبي "

" لكنك تعلمين جيداً أن من بعيد عن العين بعيد عن القلب "

ثم بنفور مباغت واستعداد لبدء معركة قد تكون دامية

" لكن هذا لا ينطبق على علاقتي بأحمد فمنذ أن سافر ولم ينقطع الوصال بيننا ثم أنه عاد وقادم لخطبتي "

فقالت في عدم اقتناع :

" أتمنى ذلك حقاً ، فأنت صديقتي الوحيدة وأخاف عليك "

فقالت في محاولة لتهدئة الأمور:

" لا تخافي فأنا أعلم جيداً أنه يحبني ولذلك عاد ليتم المراد "

ساد الصمت للحظات ثم أردفت :

" إنه يحبني بالفعل ولن يذهب من هنا مرة أخرى إلا وأنا خطيبته "

فتحت عيناها وكأن مفاجأة وقعت على رأسها

" أيسافر ثانية ؟؟ لماذا ؟ "

" لأنه يحتاج لمزيد من الوقت ليؤمن مستقبله فأنت تعلمين الحال الآن في مصر ، كما أنه ليس جاهزاً بالكامل للزواج الآن ولن يغيب طويلاً تلك المرة "

تنهدت في ازدراء، ثم اكتفت بالصمت للحظات، ثم قالت بابتسامة باهتة :

" وفقكما الله يا غادة "

(٦)

تطل كنسمة شتوية تلامس الملامح في ملاطفة لاذعة بفستانها الطويل المفصل بعناية ، ربما استغرقت السنتين لأجل ذلك اليوم ،وتوهجت عينيها كبركان نار ولكنه اشتعل ليضفي مزيداً من الدفء في أرض لم يزرها الدفء منذ ألف عام، بينما يطل أحمد كبرنس من عهد النبلاء في حليته وهو يمتطي الكرسي المرصع ، كرسي العرش بينما تطل من عينيه نظرة غامضة ساكنة تملأها السرور بين الحين والآخر ، ملك وملكة يتوسطان ذلك الحفل والمراسم التي تعلنهما زوجين المستقبل إنه حفل الخطوبة الذي حضره العديد من الأصدقاء ،منهم من جاءوا من قريب ومنهم من قطع المسافات الطويلة ليبارك تلك المناسبة، وفرصة مواتية للقاء الغائب منذ سنتين دون أخبار مؤكدة عن حالته وماذا حل به خلال سنتان ؟، علت الزغاريد بينما هلل الأطفال وسط الحلوى الملقاة هنا وهناك على أرض احتلتها الفرحات. واجتمع الكثيرون حول مناقشات معدودة لكنها لا تخلو من الابتسامات والضحكات التي تشهد لها جدران منزل غادة ، فقد أصر أحمد على أن تتم الخطبة في منزلها فكم يكره جو القاعات وربما لنظرة متشائمة لديه منها كما أنه على عجلة من أمره فلم يبقى لديه سوى شهر تقريباً لمغادرة البلاد مرة أخرى، والأمر لا يحتمل مزيداً من التأخير لتجهيز قاعة ما لذلك، وربما يكون هذا هو الذي يضفي عليه جواً من الشرود من حين لآخر، فكيف له أن يغادر عروسه بعد شهر من الخطبة فكم يتشوق لها ولكن ربما لا يكون ذلك السبب هو سر شروده من آن لآخر، فحقاً إنه لا يعلم ماذا حل به ، بينما تعلقت عيناه دون وعي بعينيها و همس لنفسه قائلاً :

" لا أدرى حقاً ماذا بي ولكن لما لا أشعر بالفرحة التي تصورتها لسنين، ربما لأنني تصورتها كثيراً فاعتدتها، وإعادة تصويرها في الواقع لم يضف عليها الحس الذي طالما تصورته فلكم كان الخيال أقوى وأجمل كثيراً من الواقع ، ربما "

قاطعته يد غادة الناعمة في رقة مبالغة ،وفي محاولة للاندماج معه في حديث قائلة بابتسامة :

" هل أنت سعيد يا احمد ؟ "

" بالطبع أنا سعيد للغاية "

نظرت إليه وتعقد جبينها كأنما لم تشعر كلماته بنفس السعادة التي يتحدث بها وقالت :

" أحقاً سعيد؟! "

فرمقها بغرابة شديدة ورفع حاجبه الأيمن ثم قال :

" بالطبع يا حبيبتي أنا سعيد "

ربت على يديها في ملاطفة لمحاولة انتزاع الخوف من داخلها بابتسامة صنعها بسحر خفي ثم مال عليها وهمس بأذنها :

" إن لم أكن سعيداً الآن فمتى تكون السعادة إذن ؟! "

ثم عاد للوراء وحرك شفتيه دون أن ينطق على طريقة أبطال أفلام الأبيض والأسود ولكنها كانت واضحة للجميع ليس لغادة فقط :

" أحبك "

ابتسمت وقد زالت الحيرة تماماً من على ملامحها، ونظرت في خجل للحاضرين ثم رمقت الأرض في سرعة اجتناباً لبعض التعليقات التي قد تثير حمرة وجهها أكثر.

مرت الليلة في تناغم ما بين الحاضرين، وعلا صوت الفرحة كل الأصوات وخصوصاً أهل العروسين المنتظرين بشغف قديم تلك المناسبة منذ عهد ليس بالقديم ، وفي نهاية الحفل وبعدما ذهب الجميع ودع أحمد حبيبته بابتسامة طاغية أسرت قلبها المغرم بحبه ، بينما خرج أحمد تناوشه الأسئلة الغامضة والألغاز المحيرة لما يدور داخله ولماذا يعتريه ذلك الإحساس الغريب ؟ لماذا لم يشعر بالفرحة العارمة كما تصور مراراً وتكراراً ، ذهب في بئر بلا قاع من الأحاسيس المتباينة وعلامات الاستفهام التي لم يفهم لها سبباً، ولكن بمحاولة لطيفة من الرياح القادمة من نافذة غرفته حاول تبديد كل شيء وإلقاؤه خلفه، فكل هذا ما هو إلا وساوس شيطانية وأرق ربما من السفر ورحلته الطويلة ، ثم همس لنفسه في محاولة للهروب من شيطانه الآثم :

" حان الوقت لأنام في رحاب الملائكة وتباً لك أيها الشيطان "

(٧)

مر الشهر بين أحمد وغادة بين الاستمتاع ببرودة الجو المتلفع بفرحة غادة العارمة، وسكون أحمد ما بين الصمت والابتسامات التي لا تعرف لقلبه طريق، محاطاً بأسئلة لا تعرف أي مفرى ولا تبث ببنت شفة علم إلى قلبه المتمزق بين أدراج السعادة المتصاعدة في أنفاس غادة التي يخشى إفسادها بما حل به من أمر لا يدركه تماماً . إنها تسير إلى جانبه تحيط جسده بذراعها وكأنها استكانت إلى إحدى الأشجار لتحتمي من أمطار الزمن الرعدية ، فكم هو آمن أن نجد حجرة نأوي إليها من مخاوف الحياة الغامضة وما أجملها إن تزينت برجل يحب بصدق ، مرت الأيام تلو الأخرى ما بين شاطئ البحر في الإسكندرية و ذكريات ستكتبها أنامل غادة يوماً عن ليالي الدفء والحب، فكيف لها أن تنسى تلك الشتوية التي أهدتها حب العمر تحت الأمطار اللؤلؤية التي ترسم ملامح مستقبلها الوردي .

جاءت لحظات العودة ثقيلة على القلب تتوسطها دمعات قاتمة السواد، ولكن يعفو الأمل في العودة قريباً على يدي أحمد المتلمسة جدار ملامحها في ذلك المطار ثانية الذي شهد عودته المباركة إلى أحضان إحساسها المنهك، إلى كل لمسة دافئة تمر خلال ملامحها وتعيد إليها ذكرياتها خلسة في عهد الأنين والفراق .

نظر إليها في محاولة لتهدئة روعها المتمثل في دمعات تكاد تحجب رؤيته عنها قائلاً:

" غادة لا تبكي سأعود قريباً إن شاء الله "

" عديني يا أحمد أن تعود في أقرب وقت ولا تطل غيبتك "

ثم بعيون مستسلمة لرقائق ملامحها الباهتة من وقع الدموع قال بابتسامة باهتة :

" أنت تعلمين أنني لم أُخلف كلمة يوماً .. وسأعود في أقرب فرصة مواتية كما اتفقنا من قبل "

نظرت إليه وكلها إيمان صارم به كإيمان بعقيدة لا تقبل النقاش، بينما أعلنت في تلك اللحظة في أرجاء المطار أن الوقت قد حان للانتقال إلى الطائرة المغادرة إلى أمريكا خلال خمس دقائق ، ودون وعي رشيد ارتطمت غادة بجدار أحمد الصدري مسترسلة كل عواطفها لتقاوم بركانها الفياض المنبعث من أقصى أعماقها لتقاوم لحظات الوداع ، فأي دار غير صدر أحمد لتختبئ به من المواجع المنتظرة وآلام الزمان المُخلّفة بعد الفراق ، عانقها بشدة تكاد تكون أقوى من عناق الوصول، بينما ذهبت عيونها تفرس خطواته المبتعدة في وهن، والراكدة أحياناً كبحيرة أوشكت على الجفاف ، ثم ذهبت عيونه إليها في نظرة أخيرة كأنه يستعطف الزمان على الموقف الأخير ، ثم لوح إليها بيديه في حزن شديد بينما شعرت هي بثقل شديد في يديها فاستسلمت لذلك متحولة إلى تمثال لا يتحرك به سوى ذلك الجزء الآدمي الدامع المنهمر بشدة كليلة شتوية صارخة الغضب .

إنها النافذة مرة أخرى، ولكن الجو سقيم للغاية تملأه سحابات داكنة السواد وكأنها حجبت السماء إلى الأبد ، وتلك الشمس التي تبدو أنها لم

تشرق يوماً في تلك السماء الغائبة عن الوعي ، استعداد تام ليوم غاضب بلا جدال فكل الأمور مهيأة إما لعاصفة أو كارثة ، ثم همس لنفسه في ثبات تام ومحاولة لتهدئة نفسه الثائرة تماماً و ارتسمت تلك الابتسامة الباهتة :

" سأعود قريباً نعم سأعود "

ولكنه لم يدرى حقاً شيئاً غريباً تطاول بعمق إلى محيط أفكاره ، لماذا لم يشعر بعد مرور لحظات بذلك الألم بين يدي غادة لحظة الوداع ؟!. لماذا زال كل شيء في غضون دقائق معدودة ؟! ، يا لا هذا الشيطان الذي يصور كل شيء حقاً كما لا يجب أن يكون، ثم همس لنفسه ثانياً محاولاً استعادة رباطة جأشه وعقله الشارد على طرق بعيدة قائلاً في حزم :

" ربما الغربة خلقت مني إنساناً قوي الطبع لا تهزه العواطف لدرجة كبيرة كما في السابق نعم إنني ناضج وهذا كل شيء .. نعم هذا كل شيء"

كان يعلم جيداً أن رغم تصريحه الأخير لنفسه أنه ما زال هناك شيء ما مختفي خلف طيات نفسه الزاحفة إلى أرض من الجنون والتباين لكنه استلقى برأسه إلى الخلف قاذفاً كل شيء خلفه بسرعة البرق، وأغمض عينيه ثم تمتم بصوت غير مسموع :

" لتكن الرحلة الأخيرة "

" يا لك من رجل أكل ذلك غياب ؟ " قالها السيد مايكل مبتسماً في محاولة لمصافحة عميقة تنم عن وحشته له

قال أحمد بنوع من الممازحة :

" لم أغب يا رجل فأنت تعلم تماماً أن تلك المدة غير كافية لرجل من مصر "

" كيف حال العودة إلى العمل ؟ "

تنهد أحمد ثم قال بفتور :

" كما ترى "

ثم قال مايكل الرجل الأمريكي الفارع القوام ضخم الجثة جاحظ عينين حضراوين :

" ها سمعت أنه قد تمت خطبتك "

ثم صمت للحظة ليشعل سيجارته ثم أردف قائلاً :

" تهانينا القلبية سيد أحمد "

ابتسم احمد وطرق ساكتاً بينما قال مايكل والدخان يتطاير ليسد الفراغ بينهما :

" لا اشك في جمالها فانا أعلم ذوقك الرفيع جيداً "

ضحك أحمد مائلاً للوراء ثم قال :

" كما ترى يا سيد مايكل "

ثم بلهجة جدّية قال :

" في غيابك أتينا بالعديد من الموظفين لاتساع دائرة العمل كما تعلم ،وقد أتينا ببعض الجدد الذين سنقوم بتدريبهم لمدة كافية حتى يتسنى لنا التحكم في التكلفة كما تعلم الحال الاقتصادي الآن ولا نريد العودة إلى الوراء "

هز أحمد رأسه مبدياً الموافقة ثم قال :

" نعم ، يبدو ذلك جيداً للغاية "

ثم نفخ مايكل الدخان في الهواء بطريقة ارستقراطية كباشا من الباشاوات في عهد الانجليز ثم قال بجدية رجل محنك :

" لذلك يا أحمد لقد قررت أن تقوم أنت بتدريب أحدهم بنفسك ، فانا أعلم مثاليتك في العمل كما أنني قد قمت بتوزيع جميع الجدد على جميع الموظفين بعناية "

أومأ أحمد برأسه مبدياً الموافقة التي تعلوها ابتسامة قائلاً :

" هذا من دواعي سروري سيد مايكل " :

" دعنا لا نضيع الوقت ، سأقابلك بها في الحال "

نظر أحمد إليه وهو يجر أذياله إلى باب غرفة المكتب لينادي بصوت مسموع :

" نادية تعالي هنا "

لمعت عينا أحمد فالاسم يبدو عربياً لكن ما الحكمة فكثير من الأمريكان يطلقون ذلك الاسم على بناهن ،ثم دخلت تلك الفتاة التي تحمل من الجمال ما لا تحمله مائة فتاة في آن واحد ، وهلت على أحمد كشمس لم تشرق منذ ألف نهار بشعرها الأسود الساحر كليل لا تشوبه سوى النجوم الزينة للسماء والقمر المستلقي في أحضان السماء لينير ظلمة العاشقين ، بينما عينيها الواسعتين اللامعة الشديدة البنية وعودها المنسق باحتراف ريشة فنان فهي كما تبدو له عربية ولا تمس بأي صلة لبلاد الغرب ، وكانه يعلمها منذ أمد طويل وحانت لحظة اللقاء الآن ، لمعت عيناه في ابتسامة قوية ووجه مشرق حجز شعاع الشمس المحاولة بجهد اختراق حواجز نافذته المغلقة .

اقتربت ببطيء تعلوها ابتسامة ساحرة بينما قال مايكل :

" نادية . هذا السيد أحمد وستكونين من الآن فصاعداً تحت تصرفه ومسوليتك برعايته في العمل ، فهو إنسان دقيق في العمل كما حدثتك وستكتسبين خبرة من العمل معه "

اقتربت من أحمد ومدت يديها لتصافحه بينما لمعت عيناها في سؤال غريب ثم مد أحمد يده بدوره، واشبكها بها في لطف شديد ورقة متناهية ربما لا يعلم سرها ثم قال بنوع من المداعبة اللطيفة :

" أهلاً بكِ يا نادية ، إنه لمن دواعي سروري أن يكون لدى تلميذة لها نفس جمالك "

ثم قال السيد مايكل وكانه قد نسى شيئاً:

" بالمناسبة يا أحمد ، إنها مغربية أي أنها عربية فلن يكون هناك عائق إذا في الثقافات وسيسهل ذلك مهمتك تماماً "

نظر إليه أحمد بابتسامة عريضة ممازحاً :

" لا أظن أن أي ثقافة تستطيع تحدي الجمال سيد مايكل "

ضحكوا جميعاً بينما سادت ضحكتها شعور غريب بأنها تعرف ذلك الشاب العميق العينين الذي يعود نسبه إلى أرض السحر فلكم تتمنى رؤية نهر النيل.

" كم أشعر بالوحدة دونه "

قالتها في حزن عميق بينما أومأت برأسها متطلعة للأرض التي تتمنى لو أن تنشق وتبلعها أو تنشق وتقذف لها أحمد من بين أوحالها الصماء.

نظرت إليها صديقتها إيمان في حزن ثم طبطبت على كتفها في تودد قائلة :

" لا عليكِ يا غادة ، سيعود قريباً وتكتمل الفرحة وتكلل بزواجكما "

نظرت إليها نظرات مترددة كمن يخفي شيئاً ثم قالت :

" لا أعلم يا إيمان ينتابني شعور غريب بأنه لن يعود "

نظرت إليها إيمان نظرة شاردة ثم قالت :

" لا تقولي ذلك سيعود إن شاء الله قريباً "

وكأنها لم تسمعها وأكملت حديثها الذي بدا لإيمان أنها تحت تأثير منبه ما أو ربما تعاطت إحدى الحبوب التي أودت بعقلها، أو ربما تعاطت إحدى أنواع المخدرات التي لا تنتظر حتى تنبش في عقلك وتجوفه إلى أقصى بئر ممكن بينما قالت غادة بسرعة طفولية

" أتعلمين يا إيمان ، لم يكن هو أحمد "

نظرت إليها إيمان بعيون اقتربت على الجحوظ بينما أكملت غادة قائلة:

" نعم لا تتعجبين ، لم أشعره أحمد الذي أعرفه رغم استماتته من أجل أن ينعش الذكريات ،ويرسم عهداً جديداً ليداوي ذكريات قديمة بأخرى حديثة المنشأ "

نظرت إليها غادة بامتعاض للحظات ثم ضحكت ضحكة هستيرية كإحدى الغانيات في إحدى الخمارات، ولم تعلم إيمان سر تلك الضحكة حتى هتفت الأخرى :

" ربما لأنني لست من رعاة البقر ،هيا أيها الأحمق أين السيارة لنسطو على ذلك البنك، وأين باقي الأعضاء في عصاباتنا الشريرة "

بدا لإيمان أن صديقتها في حالة من الضياع وربما على شفا السقوط إلى الهاوية، وربما سقطت بالفعل ، ثم أفاقت من تفكيرها على بكاء غادة حيث تحولت إلى ذلك المهرج الذي يصطنع المشاهد والحركات البهلوانية وتقمص الأدوار البوليسية صائحة

" أنا فتاة هوليود "

بينما تغطيها الدموع في مشهد درامي لإحدى بطلات السينما الكلاسيكية .

ضمتها إيمان إلى صدرها لتهدئ من روعها ومحاولة ذبح أفكارها المستميتة في محاولة القضاء عليها ، بدت غادة شبه محطمة أن لم تكن كذلك بالفعل ، أنفاسها الساخنة الصاعدة إلى الهواء كانت تدق صدر إيمان ، وذلك الجو الصامت المقبل على الربيع صامت حد الموت والسماء التي

ارتسمت كلوحة تشوهها بعض ذيول السحب من أثر وقع الهجرة الكاملة لكل مظاهر الشتاء بينما غرفتها المظلمة لا يتوسطها سوى دموعها وصدر إيمان الضعيف، مما يضفي نوعاً آخر من الكآبة والحزن على جدران الحياة المتلاطمة في رأس غادة كبحر أعلن الحرب ضد كل السفن فما من منقذ اليوم .

ظل الصمت يلهو في بهو الغرفة لا يشوبه سوى ذلك الأنين المتصاعد في رجفة وخوف من صدر غادة بينما أطبقت إيمان قبضتها جيداً على رأسها لتتلو بعض آيات القرآن وحين شعرت بهدوئها ، تركتها لتنام ولكن بقي داخلها سؤال هل نامت بالفعل، أم أنها مرحلة الخمود أو ربما الهدوء الذي يسبق العاصفة ؟؟ .

(١٠)

تتوالى الأيام على أحمد الذي أرهقته حرب عقله وقلبه الذي لا يعلم له سراً من يوم أن عاد إلى مصر،وربما كانت هناك لعنة من لعنات الفراعنة التي قرأ عنها من فعل هوسه الشديد بمجريات الحياة في مصر الفرعونية ، بينما تأسره يومياً نظرات نادية الجميلة ما بين التألم والمعاناة الغامضة، وتدور بعقله حروب ما بين الأسئلة ومحاولة إزالة كل الفجوات المعلقة على المسافات البعيدة ما بينه وبين غادته الجميلة وسر تواجده الآن بين أنياب الغربة الناهشة في عظام قلبه بلا أدنى رحمة أو تردد ، وظلت التساؤلات تؤرق سباته الليلي ليخلد إلى هجو النجوم التي قلما رآها في بلاد الغرب، ولكنه يتحسسها ما بين فجوات السحاب الناعسة . ظل هكذا الحال به في عالم من الوحشة والتردد والحرب الغاشمة، وفي تلك الليلة تعارضت مرآته له صباحا بينما يجهز لعمله كالمعتاد ، وقف حد عينيه يتأملها وكأنه بالفعل لا يعرف من هو ؟ ثم حدث نفسه هامساً :

" هل بالفعل أحب غادة ؟؟ "

أتاه السؤال كحد سكين تمركز في حدود رقبته بينما ثارت عيناه دون أدنى تردد وبلا علم منه ثم عاد للوراء دون وعي ليرمق ساعة الحائط فلم يجد سوى تفسير واحد أنه لا يطيق الانتظار ليرتمي في أحضان عيون نادية الساحرة ، نعم علم في تلك اللحظة أنها ليست الغربة من تسول له

المغريات ولكنه أدرك بالفعل أن غادة قد وقعت من بئر قلبه بلا عودة ، فقد تحورت شرايينه دون إشعار مسبق من حب قديم، ولاذت قدميه بالفرار من جنون قلبه ورغباته الجموحة في حد مسمياته للأشياء ، قفز خارج المنزل بكل ما أوتى من قوة تدفعه أحداث قلبه الجنونية ، فبحثه عن الإجابة أصبح دربا من الرغبة العارمة .

(١١)

أتاه صوت ناديه في الصباح كزهرة مخملية، بينما ارتسمت تلك الابتسامة بنوع من الشغف على جدران ملامحه التي علاها عينان لا تختلفان كثيراً عن وهج الشمس المحاربة من أجل احتلال السماء بعد تسلط السحب العارمة ، تيقظت آماله لتصافحها في سكون وشوق شديدين قائلاً:

" صباح الخير يا نادية ؟ "

ابتسمت وبصوت لا يكاد يسمع قالت :

" صباح الخير يا أحمد "

نظرت إليه بعيون متسائلة بينما مالت رأسها قليلاً لليمين بحركة عفوية ثم قالت :

" يبدو عليك الإرهاق الشديد منذ أيام مضت ! هل هناك خطب ما لتحدثني به فنحن سوياً منذ ثلاثة أشهر، وأظن أننا أصدقاء كفاية لتقص لي ما بك دون أدنى شك "

رمقها بابتسامة باهتة وتردد قليلاً ثم قال :

" لا شيء على الإطلاق فأنت تعلمين جيداً كم هو مرهق العمل "

نظرت إليه وبدا على ملامحها عدم الاقتناع ثم بنوع من التوسل

" أحمد أخبرني ما بك ؟؟ فحالك لا يعجبني ، ولا تقلق واعتبرني بئر أسرارك "

ثم نظرت إليه بنظرات فولاذية ثم قالت بنوع من محاولة فتح حديث ما:

" هل حدث شيء ما بينك وبين خطيبتك ؟ هل حدث شيء ما للعائلة بمصر ؟ هل الجميع بخير ؟ فقط حدثني ما بك ؟ فالكبت قد يولد الانفجار وفي الحديث دائماً الراحة "

نظر إليها بعيون طفل استسلم لدفء أم ثم قال :

" إنها مجرد مسألة وقت فبالي مشغول قليلاً ببعض الأمور بمصر "

ثم بمحاولة ذكية لتغيير الموضوع مع العلم المسبق أنه لم يدري أنه قد جهز لذلك السؤال منذ أن رآها قال :

" نحن معا لمدة ثلاثة أشهر وقد حدثتيني أنك مرتبطة بأحدهم ولكنك لم تذكري يوماً شيئاً عنه "

لم تتحدث بنت شفة بينما قال بنوع من المجازفة وتحطيم الحاجز الأخير:

" إن الذي يحب لا يرهق أبداً من الحديث عمن يحب "

حاولت عيونها الهرب متعلقة ببعض الأوراق الملقاة على مكتب أحمد ثم قالت :

" إني لأجدك أنت الآخر رغم حديثك أحياناً عن خطيبتك ، إلا أنني أجده بلا روح تذكر، كما لاحظت أيضاً ملامحك المتباينة عند ذكرها "

نظر إليها بينما غاص في أفكاره محدثاً نفسه قائلاً :

" هل لتلك الدرجة يبدو علي عدم الارتياح هل استسلم الحب حقاً في أعماقي وأعلن الاستقلال ، فضحتني ملامحه ، فضحتني أدوات العشق لغادة حين استكانت وأعلنت الهروب دون مغزى منها "

وبحث عن الأسباب في قبعة أفكاره مرة أخرى

" هل هي الغربة ؟ هل الطبيعة البرية المتمثلة في البحار والجبال هي ما أودت بحبه القديم ؟ هل أصبح حب غادة الآن قديم ؟ فلم أتصور في نفسي أبدا أن قلبي سيذوب وينصهر كالجليد ليتبقى مجرد مياه قد تضمحل مع مرور الأيام "

قاطعه سؤال نادية بقوة فنظر إليها بتفحص كامل ثم قال :

" لا أدري حقاً "

نظرت إليه ناديه نظرة مستكينة ثم قالت :

" إن لم تكن مرتاحاً فلم كل ذلك العذاب ، كل ما عليك أن تتركها وتنتظر لتبحث من جديد ".

جاءته كلمات نادية كأنه الحل الذي لم يخطر له على بال قط جاءه كهدية عيد الميلاد التي طالما تمناها وكأنها تتودد، ثم فاجأته مرة أخرى عندما قالت :

" هذا ما فعلت مع خطيبي عندما شعرت بعدم الارتياح ، فهذا زواج يا أحمد أي أنها حياة ، فإن لم تكن واثقاً الآن من شعورك وتشعر بالتردد فعليك بالانسحاب في هدوء ، إن لم تكن مقتنعاً بالكامل من قلبك فما عليك سوى الرحيل من حياة الآخر فهذا خير لك ولها " .

نظر إليها بينما فحشته الكلمات إن لم يمنع ذلك تلك النشوة العارمة التي أصابته من وقع كلماتها على عقله الذي أصيب بارتياح لم يشعر به منذ فترة ليست بالقصيرة ، وحدث نفسه بثورة قائلاً :

" نعم سأتحرر من ذلك الحب الدميم الذي أصابني بالذبول فإنها مجرد مرحلة تابعة لفترة الجامعة وما توليه من علاقات غير ناضجة "

ثم نظر إلى السحاب القاتم الذي أصر على النهوض وإجبار الشمس على الانسحاب مبرراً هواجسه هامساً لنفسه في قناعة مزيفة

" ليس ظهور نادية هو سبب ذلك ، فأنا في تلك الحالة بالفعل قبل ظهورها ، نعم أنا على حق ، بالتأكيد أنا على حق "

ثم هامسه صوت نادية مداعباً :

" هيا إلى العمل أيها العاشق "

نظر إليها باسماً ثم قال :

" ليكن أستاذتي "

بينما امتلأ المكان بالضحكات والعودة إلى العمل باستماتة مريحة .

(١٢)

لم تمر أيام حتى قام أحمد بوخز القرار في عقله الصغير تاركاً كل الومضات الماضية التي تعبر عنه في لوحات تجمعه مع غادة الحب القديم ،وسرت بداخله نشوة حب جديد تملكها عيني نادية المتأرجحة في عالمه الجديد، فكم يتمنى أن يكتب ذكريات مستقبلية من الآن عن مستقبل مشرق مع لؤلؤة الجمال في عينيه وصمام الأمان للغربة الواهية في بئر لا قرار له من النفور والعذاب والاشتياق دوماً لحضن الوطن .

ارتسمت على وجهه ملامح إنسان تجرد من كل أنواع الأحاسيس، متخذاً كل أنواع الصرامة والإتقان الشرير، من أجل الإطاحة بعالمه القديم وعقله المضطرب بين الحب والحنين إلى الماضي .

همس لنفسه في تأكيد تام بينما عبر عينيه ضباب السماء مستسلماً إلى ذلك الرجل المطل بعقله الذي أقنعه بأنه على صواب تام، ثم ترددت ابتسامة نادية الساحرة، لتمر سريعاً مليء عينيه في جوف السماء ليتأكد قراره أكثر فهمس :

" إنه الحب الأكيد الذي طالما حلمت به ، الحب الناضج في أوج قلبي فلطالما حلمت به كما هو هكذا! "

صمت قليلاً ثم داعبت يداه السماء في محاولة لإزاحة ذلك الضباب الذي يعيق رؤيته فتسمرت في رهبة أعين غادة الغارقة في أوج الدموع من أثر فراق ما، ثم ما لبث أن غطاها بالضباب مرة أخرى، ثم بعد لحظات

أخرى لهث بحثاً حتى وجد تلك الابتسامة النادية أطرافها التي لا تفارق كيانه دوماً ربما قبل أن يراها ثم قال :

" نعم لكم حلمت مرات ومرات بذلك الحب الأسطوري، وها هو عائد في حليته الحاضرة في روح نادية الجميلة "

وفي مباغتة لم يتصورها من عقله سمع تلك الكلمات الثقيلة الوقع على أذانه بصوت غادة :

" لا تتركني ..... إني أحبك ..... إني أحبك ..... "

صداها يكاد يخترق حواجزه بينما أطبق بيديه على أذنيه كي يسد الفجوات التي يتسلل منها الصوت وحتى لا يستفيق من حمرة حلمة وبشاعة قراره المنتظر دق الأبواق لإعلانه عما قريب .

سرحت عيونه أمام هاتفه بينما ظلت تلهو أصابعه بحثاً عن رقم غادة، فقد آن الأوان ليحرر عالمه لأجل احتلال جديد وربما ليحتل هو عالم جديد ، فالحب عالم إما أن تكون أنت المحتل وتسود أحكامك أو تكون أنت المغتصب فتنصاع كل حواسك فليس عليك سوى الانصياع ، نعم فالأمر مقرر الآن غادة مغتصبة وهو محتل بلا أدنى شك بينما يا ترى من تكون نادية هل هي محتلة أم مغتصبة ؟ فلتقرر الأيام إذن .

(١٣)

" ألو .. أهلا غادة كيف حالك ؟ "

وضح في نبرة صوته شيئاً يخفق له القلب توتراً، لكنها حاولت تكذيب ظنونها المستعصية التكذيب ثم قالت بلهفة متذللة :

" أهلاً حبيبي كيف حالك ؟ فكم اشتقت إليك "

لم تحركه نبرتها الحزينة المتشوقة ولا حبه الغالي دوماً على قلبها الصغير ثم قال : بحزم كأنه يخطب في إحدى اجتماعاته :

" غادة هناك شيء مهم جداً يجب أن نتحدث به "

كأنها تعلم جيداً ما هو آت بالفعل ولكنها على طرق مبللة من وقع مطر وتتمنى لو أن الرعد يأخذ سمعها إلى الأبد فابتلعت ريقها بوهن شديد بينما حاولت الإمساك بالهاتف بقدر استطاعة أناملها الضعيفة وقالت :

" إني أسمعك "

ذرفت دمعة من عينيها في غفلة منها، بينما حاولت بلع الريق مرة أخرى لكنها لم تستطع فقد خارت القوى بكل الطرق ولا مجال الا بالصدمات الكهربية ثم أردفت قائلة :

" تكلم يا أحمد فأنا أسمعك "

فلا مجال للانتظار أكثر فيكفيها عذاب الجرح المترقب دون رحمة فلا مجال لعذاب الانتظار

في حزم شديد ومحاولة لاكتساب خشونة الظالم قال :

" غادة أنا غير مستريح بالمرة وقد أعدت حساباتي وأرى أنه .... "

قاطعته غادة في وهن شديد فهي لا تريد أن تحمل ذكرياتها وقع كلمات لم تتخيلها يوماً وكم كانت ترهبها ثم قالت وبكاد ألا يكون صوتها مسموعاً :

" لا تكمل فأنا أعلم البقية جيداً "

ابتلعت ريقها تلك المرة بينما نظرت لدبلتها التي تحملها أصابع الحب التي طالما مسحت دموعه وأردفت قائلة :

" أتمنى لك التوفيق دوماً مع من تختار وتحب يا أحمد "

أُصيب بالكلمات فكاد أن يضيع بأسه ويتخاذل عن مهمته المنشودة، فبلع ريقه في سرعة واستعاد بأسه ثم قال بنبرة حزن :

" وأنتي أيضاً يا غادة فأنتي فتاة طيبة وتستحقين كل الخير "

فخر الدمع من عينيها في صمت شديد بينما قالت لنفسها :

" لذلك أنت تتركني الآن فهذا هو الخير الذي استحقه منك لكوني فتاة طيبة وأحبك "

ما لبث أن أردف قائلا :

" كوني بخير يا غادة واعتبري أن ما مر بنا ما هي إلا تجربة لنتعلم من الحياة درساً لأجل المستقبل " .

لم تنبث ببنت شفة وأغلقت الهاتف في سكون ، لم تتصور أنها النهاية فلكم تلعن وسائل الاتصالات التي تحجبها عن رؤية أعين الآخرين حين يتحدثون إليها، فمن أقل حقوقها أن تقف أمام ظله القاسي وتنظر لعينيه البريتين التي امتلأتا قسوة في مهب ريح لا تعلم منبعه ، بينما وقعت من نفسها على الأريكة المصاحبة لها في مشهد اغتيال حبها ،وتسمرت عيونها بتلك الصورة الكبيرة التي يحتلها الحائط التي تعكس أحمد مبتسماً في عهد قديم ،فابتسمت بينما لونت الدموع ابتسامتها بلون الكحل الأسود العتيق كليل لا تشوبه رياح فقط السكون الكريه والغامض ، مالت برأسها للخلف محاولة أن تصب بحزنها للوراء علها تفلح في مغافلة عقلها فتزيح من ذكرياته ما مر عليها من لحظات وداع ، ولكنها الدموع تدمي على الجانبين لتلون باقي الوجه المكسور كالزجاج في تقاطع لملامحها مع الدمعات المنبثقة بشغف لترسم ملامحها من جديد . نعم ذهب كل شيء وتبقت هي والدموع ووجه مكسور يحمل قلب مهشم فلكم كانت معظم الأحلام وردية رغم تحقق جزء منها.

يطل من شباك مكتبه بوجه جديد وملامح تشعر بالتحرر رغم الحزن الغامض الذي يجتاحه دون أن يعلم سبب واحد ليخبره ما الحقيقة داخله هل تعجل في اتخاذ قراره ؟ أم أنه أسف على حزن غادة ومعاناتها ؟ أم لمجرفته وأسلوبه الذي تحرر من كل أنواع العطف متجاهلاً كل ما أعطته غادة من حنان بينما أطاح بكل شيء،ودفنه في لحظات بين أعذاره الكاذبة وحب المستقبل المنتظر ، ارتجف قلبه خيفة لم يعلم من أين أتت ولكنه تجمد حاحظ العينين وإذ بنادية تطل عليه كبسمة صباحية ووردة عطر شرقية لداخله من أحاسيسه المتباينة، فربما يغفر لنفسه مع دعم الزمان له بالنسيان

" صباح الخير يا أحمد "

بابتسامة باهتة يملأها الحزن :

" صباح الخير يا نادية ولكنها الحادية عشر ! "

فابتسمت قائلة :

" أنا كل أوقاتي صباحية فلا أؤمن بالظلام فحياتي واضحة كالبلورة "

" هكذا إذن "

" نعم بالفعل "

ابتسم ابتسامة خفيفة ونهض من على كرسيه ثم قال :

" تبدين سعيدة يا ترى ماذا هنالك ؟؟ اخرجي ما في جوفك ؟ "

ضحكت ضحكة عالية اهتز لها قلبه والمكان معا ثم قالت :

" يا إلهي أهي جريمة أن أكون سعيدة "

" لم أقل ذلك ولكن إن كنتِ سعيدة فاخبريني ربما تطلقين سهام سعادتك في أنا الآخر "

ضحكت مرة أخرى ولكنها ليست كالأولى ثم قالت :

" لقد قابلت بالأمس أرق وأعذب مخلوق في حياتي فانت لا تتصور مدى سعادتي به بحق فإنه الرجل المنشود "

نظر إليها بعيون توشك على القفز من وجهه الذي أصيب بالاصفرار كما لو أن أصابه المرض فجأة، فالمفاجأة تكاد تكون خيالية في حد تفسير عقله ثم قال بصوت متقطع :

" هل تقصدين .... ؟!!! "

قالت بسخرية ونوع من المزاح :

" نعم أيها الأحمق هذا ما أعنيه بالفعل "

نظر إليها طويلاً نظرات شاردة ثم ضحك ضحكات عالية كأنه أصيب بهستيريا غاشمة ، ثم نظر إليها مرة أخرى وتمايل للوراء في ضحك هستيري ثم توقف عن الضحك فجأة وكأنه أصيب بالجنون، ثم نظر إليها طويلاً ثانية بينما هي ناظرة إليه بعيون ووجه لا يفهمان شيئاً مما يجرى فأي لكنه ألفتها ليضحك بذلك الجنون .

تسمرت عيناه للحظات بها لا تدرك معناها ،وفجأه عاد للضحك مرة أخرى دون مبرر وفتح باب مكتبه وهو لا يتوقف عن الضحك بجنون

مستفحل ، وظل يمشي حتى فارق الشركة وهو يضحك وظل يضحك تتخبطه الطرقات، فاستوقفه ذلك المشهد بين عاشقين يحتضنان بعضهما البعض فما لبث أن ظل صامتاً ينظر إليهما في ألم وحنين، بينما هاجمته تلك الذكرى بين أحضان غادة في ثورة برد الشتاء، فابتسم ابتسامة لاذعة في سكون بينما وضع يديه في جيوبه وهمس لنفسه في سكون :

" لكم أشعر بالبرد "

٨. الحادث

الأحداث مترابطة جدًا ومعقدة للغاية ودوماً تؤدي مجموعة منها إلى كارثة أو ربما انتهاء شيء ما .. هكذا هي دومًا

(١)

مسرعة على قدر كبير ولكن ليس بالضرورة العجلة فكما تقول لها أمها دائماً:

" في العجلة الندامة " .

ولكنها دوماً لا تسمع إلا لجموح قلبها الكلاسيكي إلى أبعد الحدود ولكن تلك المرة هي العجلة لأجل حبيبها الذي لم تلتقيه منذ ما يقرب من أعوام ليست بكثيرة، ولأنها دخلت الثلاثين على غفلة منها فالعجلة هي الحل الأمثل .

تلتقي بصديقتها بفرحة عارمة قائلة :

" إنه أتى اليوم وسنتقابل في المكان الذي شهد أجمل ذكرياتنا "

ابتسمت صديقتها التي تعمل معها راقصة في المسرح القومي لبلدهم الملقى على أطراف العالم قائلة بصوتها الهامس دوماً :

" كم أنا سعيدة للقائك به "

رقصت في دوائر تلتف حول نفسها في وسط الشارع ثم قالت ولم تكف عن الدوران :

" نعم أنا في غاية سعادتي فكنت أعتقد أنني لن أره مرة أخرى "

نظرت إليها بينما تردد :

" الحب يأتي بالمستحيلات دوماً "

فتوقفت عن الرقص ناظرة إليها نظرة عميقة ثم قالت همس :

" التقيت به في السابعة وتلك الحياة تفرقنا دوماً ولكنه دوماً يعود "

ابتسمت ابتسامة باهتة ثم أردفت قائلة :

" يأتي في سكون ويذهب أيضاً في سكون "

نظرت إليها صديقتها ثم قالت بصوت حنون مواسي:

" لا عليك، فإنه دائماً يأتي وربما يأتي تلك المرة ولا يذهب "

نظرت إليها والدمع في عينيها :

" إنني أحبه "

فابتسمت الأخرى ابتسامة عريضة ثم قالت:

" أعلم بالرغم من كل نزواتك في غيابه إلا أنني أدرك أنه الوحيد الذي امتلك قلبك "

فتراقصت مرة أخرى في الشارع ملتفة حول نفسها ، يتطاير فستانها في خفة كفراشة بينما تضحك صديقتها بصوت موسيقى كملامحها .

(٢)

" أحضرتُ لك الخاتم سيدتي "

" كم الثمن ؟ "

" كما اتفقنا سيدتي "

" ليكن إذا "

فتحت حقيبتها الخاصة لتعطه المال ، بينما هاتفه أحدهم في نفس الوقت ، ثم ذهبت إلى الباب وركبت سيارتها بينما تذكرت أنها نسيت الهاتف بداخل المحل ، فخرجت مرة أخرى بينما طلب السائق أن يذهب لإحضار أي شيء يصلح للأكل من المحل المجاور فأومأت بالموافقة

مازال عامل المحل يتحدث عبر الهاتف ولكنها تبدو متوترة، فلم تجد الهاتف ولكن عينيها في تساؤل بينما ينظر إليها بابتسامة ثم أغلق الهاتف قائلاً:

" لقد نسيتِ هاتفك ولكنني احتفظت به ، سأدخل لإحضاره حالاً "

عاد بعد دقيقة تقريباً قائلاً:

" تفضلي سيدتي "

ابتسمت قائلة :

" أشكرك "

غادرت في سرعة ولكنها لم تجد السيارة في الانتظار التي لم تأت قبل أربعة دقائق أخرى مهدرة من وقتها.

(٣)

"هل تعلمين أني أشعر بأنه لن يذهب هذه المرة ؟"

ابتسمت صديقتها ناظرة إليها قائلة بفرحة :

" إذا ستتزوجينه ؟ "

توقفت فجأة بينما توقف الفستان عن الدوران ، ووضعت يديها وهدأت ملامحها الفَرِحة وفي هدوء قالت:

" أتزوجه ؟! "

نظرت إليها صديقتها دون أن تتكلم بينما أردفت مرة أخرى في هدوء أقوى قائلة:

" أتزوجه ؟! "

فهمست صديقتها لها :

" نعم "

فابتسمت وقالت بفرحة :

" لم لا، فإنه ما تبقى من حقائق "

ثم عادت مرة أخرى تدور رقصاً تتباهى برونق شبابها وجسدها الذي أكسبه فن الباليه ليونة وجمالاً فريداً ، إنها تتراقص كأنه عرضها الأخير في خفة لم تشعرها من قبل .

(٤)

" أين أنت ؟! "

" إنني في السيارة "

" لماذا التأخير ؟! "

" لا عليك ، حدثني أين أنت ؟! "

" كما اتفقنا ولكني سأذهب إلى المطعم الفرنسي الآن فهنا المكان مزدحم "

" إذا سأغير اتجاهي ، في خلال عشرة دقائق سأكون هناك "

" ليكن إذا "

" مع السلامة "

" مع السلامة "

(٥)

" إنه الشارع الكلاسيكي الذي يمتلئ بالعاشقين ، المطاعم الفاخرة وعادة ما نتقابل هنا "

" إذا سأنتظر معك وسأذهب عندما يأتي حتى لا أتركك وحيدة وكم أتمنى رؤيته أيضاً "

ابتسمت ابتسامة صافية قائلة :

" ليكن إذا ، سيسعد لرؤية صديقتي المفضلة "

ابتسمت ابتسامة عريضة ولكنها لم تتكلم وساد الصمت ثم قالت صديقتها :

" ستتزوجين أخيراً "

فضحكت عالياً ورقصت مرة أخرى ونزلت بأقدامها من على الرصيف تلف في خفة وتصيح قائلة :

" إنني أحب ، سأتزوج ، سأتز..... "

لكنها لم تكمل فقد جاءت السيارة وصدمتها لتطير بعيداً في خفة ليست كالأولى وتتساقط كورقة أصابها الخريف على مرمى السائق ، والسيدة صاحبة الخاتم التي صرخت دون صوت هول المفاجأة وشحبت ملامحها كمرآة تواجه الكسر ، لقد ظهرت فجأة برقصتها الأخيرة أمام

السيارة دون انتباه ، بينما صرخت ملامح صديقتها بكل الأصوات صالحة:

" إنها ستتزوج . لما الآن .؟! "

وقفت شاردة أمام جثتها بينما نزلت جالسة على الأرض ، والرعشات تملكها من الخوف لتجد أنها فارقت الحياة ، فحاولت البكاء ولكنها لم تبك وتحركت ستائر عينيها في سرعة وامتعضت شفتاها وتقابلا حاجباها في حزن شديد ثم همست لها قائلة:

" ألن تتزوجين ؟! "

(٦)

" أين هي ؟ "

" لن تأتي "

" لَمْ ؟! "

أخذت نفساً عميقاً و بنوع من الحزن قالت :

" الحياة مترابطة ومعقدة للغاية "

نظر إليها وقد بدا عليه الاستياء وعدم الفهم قائلاً :

" لم أفهم ! "

نظرت إليه ثم قالت :

" إن لم تنس السيدة هاتفها وإن لم يتحدث صاحب المحل في هاتفه وإن لم يستغرق هو بدوره الدقيقة لإحضار الهاتف وإن لم يذهب السائق لإحضار الطعام الذي كلفه أربع دقائق أخرى وإن لم يكن المطعم مزدحماً، وان لم تكن كل أحداث الحياة مرتبطة للوصول إلى نهاية ما لما كان الحادث"

السيرة الذاتية للكاتب

عمرو الجندى، كاتب وروائى مصرى، عضو اتحاد كتاب مصر، صدر له العديد من الأعمال التى حققت نجاحا كبيرًا وتصدرت أعلى المبيعات المصرية والعربية، صدر له أعمال روائية " فوجا و٩ ملى وأخيرا رواية ٣١٣ كما صدر له المجموعة القصصية التى تحمل عنوان " الغرباء "

الفهرس

الإهداء	٥
المقدمة	٧
أنا وعزازيل	٩
غرفة الانتظار	٣٧
من أجل الشيطان	٤٩
عائدة من الموت	٦١
الانتظار ما بين الموت والحياة	٧٥
قعدة قهوة	٨٧
لكم أشعر بالبرد	١٠١
الحادث	١٤٣

يدق الباب ثلاث دقات وبعفوية اهدم الحواجز بين الشيطان وأفكارك . كل ما عليك هو إلقاء ملائكتك خارجاً واغلاق كل النوافذ بإحكام لتترك الظلمة تنبثق بين أحشائك. فاليوم من أجل الشيطان سنلتقي سوياً وسرياً لنمر عبر عالمك السفلي. من أجل الشيطان سندخل عالم النسيان ونهرع بعيداً عن حدود النور. في كل قصة ستجد الشيطان في لوحة مرسومًا بدقة مبتسمًا فاليوم أحيي ذكراه أتقمص شخصيته وأمارس طقوسه .

لا تخف ..

عمرو الجندى، كاتب روائى مصرى، عضو اتحاد كتاب مصر، صدر له عدة أعمال منها رواية " 9 ملّى " ورواية " 313 " وقد تصدرت أعماله قوائم المبيعات فى المكتبات المصرية والعربية .

تصميم الغلاف: أسامة علام